ndu spirit
نيسان ٢٠١١ عدد ٥١

الشّعبُ يريد؟!

نعم يريد.

يريدُ الحريّةَ في العملِ والمعتقدِ والتّعبير.

يريدُ العدلَ والعدالةَ والمساواةَ في التّشريعِ والحكمِ والقضاء، وفي الحقوقِ والواجبات.

يريدُ الديمقراطيّةَ في الانتخاباتِ والسّياساتِ والقرارات، وفي تحمّلِ المسؤوليّاتِ والتّبعات، وفي المراقبةِ والمحاسبة.

يريدُ الكرامةَ في خبزِه والماء، وفي مدرستِه والجامعة، وفي دوائه والاستشفاء،.. وفي كلِّ خاصٍّ وعامّ.

يريدُ الأمنَ والأمانَ والاطمئنانَ إلى يومِه وغدِه وحالِ عيالِه.

يريدُ ويريدُ.. يريدُ أن يكونَ «هذا الانسانَ الّذي على صورةِ الله كمثالِه»!

هذا ما يريدُه الشّعبُ، الشّعبُ الطيّبُ المسكين، الشّعبُ المنهوبُ المقهورُ المسلوبُ الإرادةِ والأحلام، الشّعبُ قطعانُ الأغنام...

بلى. كانَ حرمانٌ وكانَ احتقانٌ.. كان احتقارٌ!

وها هو الشّعبُ يريد...

ولكنْ،

هل يعرفُ كيف يحقّقُ ما يريد؟ ما هي خططُه ووسائلُه؟ مَن هي قياداتُه؟

وهل.. هل يدركُ أنّ وراءَ ما يريدُ مَن يريدون.. مَن يتربّصون؟

.. إنّ في تجاربِ الأيّام ما يُفرحُ.. وما يُبكي أيضًا وكثيرًا!

ويا لِخليل مطران يومَ قال:

كلُّ قومٍ خالقو نيرونِهم

قيصرٌ قيلَ له أم قيلَ كسرى!!

التّحرير

NDU Spirit دوريّة حول علامات الحياة في عالم جامعة سيّدة اللويزة

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التّحرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

تَتَبُّع أَنشطة
تاتينا روحانا

تنضيد بالعربيّة
ليديا زغيب

تصوير
عبدو بجّاني

تصميم وإخراج
ريبيكا موراني

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

هاتف: ٩٩٦ ٢٠٨ (٠٩)
هاتف /فاكس: ٢٠٥ ٢١٤ (٠٩)
موقع الكترونيّ: www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit

المحتوى

THIRD MILLENIUM

كلمة

مدارات الجامعة



مقالات

قصّة





UNIVERSITY OF THE

مراجعات

براعم

شعريّا ت

من منشوراتنا



جورج مغامس

تباركَ الله

من بيتٍ معقودٍ على مخافةِ الله، وإكرامِ العذراء، ومحبّة النّاسِ، والحَدْبِ على الأرض،..

ويَتربّعُ سعيدًا على قناعةِ الخبزِ كفافَ اليوم، وعزّةِ النّفسِ، وحريّةِ الضّمير، وبسطةِ الوجهِ والكفّ والقلب،..

يجاورُ القممَ الشمّاءَ،

ويحدّقُ إلى الرّياحِ حين تعصفُ، وإلى المياهِ حين تدفقُ، وإلى الشّمسِ حين تشرقُ، وإلى الليلِ حين يقمرُ، وإلى الطّيورِ حين تبني أعشاشَها في السّطوحِ وفي السّفوحِ وتكسو رياحينَ الأوديةِ الوديعةِ بغبطةِ الغناءِ البهيّ،..

من هذا البيتِ.. البيتِ المفعمِ بقيمِ العيلةِ المارونيّةِ في القريةِ اللبنانيّة، هَبطَ الصّبيُّ نحو أفقِ البحرِ يَدرجُ وراءَ نداءِ البعيدِ في قلبِه الصّغير.

لم يكنْ في يدِه عكّازٌ ولا زاد. لكنّ عينيه كانتا ممتلئتين بوشيِ زهرِ الدُراقِن، وبَخُورِ مذابحِ الكنائسِ، وبوجهٍ رفقا يَنضحُ قداسةً وشفاعات. وكان في صدرِه رجعُ صلاةِ الصّبحِ والمساءِ، ودعاءٌ، ويدٌ تباركُ، وطفولةٌ مُلكُ الذّكرياتِ مع إخوةٍ وأترابٍ ورائحةِ وَقيدٍ وتراب.

الصّبيُّ الذي خرجَ من بيتِ يوسفَ وثمينه، قال إلى الدّيرِ وجهي وطريقي؛ ومشى على فيضِ الصّوتِ السّريِّ في أعماقِه البيضاء: أُتركْ كلَّ شيءٍ واتبعْني.

لم يكنِ الدّيرُ لا صدرَ أبٍ ولا حضنَ أمّ، بل كان موحشًا باردًا ويكادُ يتداعى تحت وطأةِ قوانينَ ومعلّمينَ من يقْظةِ الفجرِ إلى دهْكةِ المساء؛ ولولا ملائكةٌ حرّاسٌ على وديعةِ القداساتِ في دفءِ العباءاتِ، لَكانَ الصّبيُّ قضى بجزَعِه والسّأمِ، ورفعَ يدَه عن المحراث.

الصّبيُّ في الدّيرِ ثَبُتَ. وصار ينمو بالقامةِ والمعرفةِ والفضيلة. وترقّى. وارتقى سُدّةَ المسؤوليّات، فبنى وأعلى وانتشرتْ له الرّايات. وها ساعةُ مجازاتِه عن متجارتِه بالوزناتِ حَلّتْ: نُوديَ به الأمينَ على كرسيِّ المدينةِ العظمى أنطاكيا، يدبّرُ ويرعى أمّةَ الموارنةِ في لبنانَ والعالم. وإنّه لَمستحقٌ ومستاهل.

فيا.. يا لِلصّبيّ الحملاويِّ، ويا لِنداءِ البعيدِ في قلبِه الصّغير!

يا الله سبحانَك! كيف دعوتَه من ذاك البيتِ، من تلك القريةِ، وقُدتَ خطاه في الرّهبانيّةِ والأسقفيّة، وقدّمتَه وأجلستَه وقلّدتَه سلطانًا ومجدًا.. وأحطتَه بكلِّ مهابةٍ وإكرام.. وجمعتَ حولَه الأمانيَ وألّفتَ القلوب!

بشاره الراعي! وعَمّ النّاسَ فرحُ عظيم...

أمّا الفرحُ، هذا الفرحُ، فرحُ النّاس، فلأنّهم عرفوه يَعرفُهم بأسمائهم، ببيوتِهم، بأفراحِهم، بأحزانِهم، بآمالِهم وأحلامِهم والهواجس؛ فلكلِّ واحدٍ منهم حظٌّ فيه ونصيبٌ، ويحكي ويستريح.

لقد حُقَّ لهم، وحقًّا، أن يُذيعوا أنّه ممّا رأته عيونُهم وسمعته آذانُهم ولمسته أيديهم ومن أشواقِهم والانتظارات.. أنّه بطريركُهم حقًّا!

بشاره الراعي بطريركُ النّاسِ أوّلاً: بطريركُ أسماءِ العَلمِ والكُنية والإخوةِ الصّغار؛ بطريركُ الإصغاءِ والبشارةِ والوطنِ الرّسالة؛ بطريركُ الأشياءِ الصّغيرةِ والتّفاصيلِ الحميمةِ وكلِّ همٍّ كبيرٍ خطيرٍ ويتّصلُ بكينونةٍ ومصير،.. وكأنّه المولودُ من رحمِ أرواحِهم هؤلاءِ النّاسِ، ومن مواجدِهم

ومواجِعهم ومواعيدِ الأزمنةِ علامةً لزمانِهم!

فيا سيّدَنا، يا الكُلّيِّ الطوبى، نحن نعلمُ كم تكتنـزُ من علومٍ ومعارفَ وخبرات، تجلّتْ في محافلَ محليّةٍ ودوليّة، إكليركيّةٍ وعلمانيّة، وبها نَعُزُّ ونَفخر.. لكنّنا نُكبرُ فيك ونُجلُّ أيضًا وأوّلاً هذه السّجيّةَ المنهجيّةَ المبدعةَ المذهلةَ في عقدِ اللقاءِ بالآخرِ، كلِّ آخرَ، وتكليلِه بالمحبّةِ موصولةً بأفقٍ جديدٍ وسُعُفٍ خضراء. فلأنتَ لنا بطريركُ المبادراتِ والرّجاء.

نؤمنُ بذلك. نؤمنُ به بالعقلِ والقلبِ وعطشِ الروح.

ونؤمنُ أنّك، وأنتَ المُعَدُّ لهذا الصّليب، وقد أَعددتَ له كتفيك، ستَجدُ في سبيلِه قيروانيّين كثرًا يحملونه معك.

بل نؤمنُ أيضًا أنّ كثيرين ممّن يَهتفون اليومَ هوشعنا.. سيصرخون غدًا أصلبوه، وأنّك ستبقى القويَّ بالّذي يقوّيك.. والّذين أيضًا. ونحن من الّذين.

أيّها الأبُ السيّد،

الأبناءُ الشّطّارُ، والخرافُ الضّالّةُ، وتجّارُ الهيكلِ، والإسخريوطيّون، والسّيمونيّون.. كَثرةٌ كثيرةٌ. الحِملُ ثقيلٌ.

وفوقَه غبارُ السّنواتِ العجافِ.. والبُغاثُ استنسرَ.

ولكنّ دعوتَك نبويّةٌ!

وقد كنّا نقرأُها في عواصفِك اليوحنّويّةِ، وفي محاجّاتِك البولُسيّةِ، وفي محبّتِك السّامريّة.

وها أنتَ بَعدُ، ومنذ الآنَ.. وإلى سنينَ عديدةٍ يا سيّد، بطرسيَّ الأبوابِ والمفاتيح؛ وتمضي يدُك بَعدُ على المحراثِ، وتَنتزحُ إلى الأعماقِ، ومن الأعماقِ تصرخُ باسطًا يديك: هي ذي خدمتي شِرْكةٌ ومحبّةٌ، يدًا بيدٍ، وقلبًا إلى قلبٍ، في يدِ الله ِوقلبِه وحتّى أقاصي مشيئته.

تباركَ الله فيكَ، يا غبطةَ أبينا مار بشاره بطرس الرّاعي.

تباركت مواهبُه وعطاياه وما تمرّستَ به على الأيّامِ في رعيّةٍ ومدرسةٍ وجامعةٍ ومجامعَ وجمعيّاتٍ..، تجاهدُ الليلَ والنّهارَ جوّابَ آفاقٍ خفّاقَ أعلام.

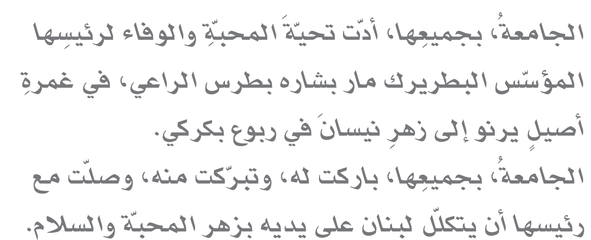
تباركَ روحُه القدّوسُ تَوّجَ بهالتِك المريميّةِ السّاطعةِ النّاصعةِ ثراءَ قرابينِ يدَي غبطةِ أبينا المكابدِ المجاهدِ أميرِ ملكوتِ الموارنةِ ولبنانَ مار نصرالله بطرس صفير!

البطريرك الراعي، الجامعةُ بجميعها كانت لديه، وللشباب قال:

- أنتم أمل الكنيسة ولبنان. أنتم المستقبل.
- نحن متضامنون معكم في كلّ همومكم ليحقّق كلٌّ منكم فرادته.







الجامعةُ، بجميعِها، أدّت تحيّةَ المحبّةِ والوفاء لرئيسِها المؤسّس البطريرك مار بشاره بطرس الراعي، في غمرةِ أصيلٍ يرنو إلى زهرِ نيسانَ في ربوعِ بكركي.
الجامعةُ، بجميعِها، باركت له، وتبرّكت منه، وصلّت مع رئيسها أن يتكلّل لبنان على يديه بزهرِ المحبّة والسلام.

قال **الأب وليد موسى:** صاحب الغبطة أبي وأخي الكبير مار بشارة بطرس الراعي، ما أتيت لأمدحَ أو أهنّئ أو أجامل...
والجامعة التي أرأس، لم تحضر، بعمدتها وأساتذتها وموظّفيها وطلاّبها وخرّيجيها وبفروعها في زوق مصبح وبرسا ودير القمر، كي تشارك لبنان والموارنة، بعرس الفرح فحسب،
بل، أنا هنا، باسمهم جميعًا، لأتقبّل التهاني، ولأتابع الصلاة: ربِّ، أعطِه وأعطِنا أن نصحوَ على يديه، وأن يتكلّل لبنان بزهر المحبّة والسلام.
ربّ، نشكرك أنتَ، يَدُكَ هي التي باركت، وهي التي كتبت اسم بشارة الراعي، ساعة الانتخاب؛ وصوتك هو الصوت الذي ارتفع قائلاً: يا بشاره، إرعَ خرافي.
ربِّ، نحن هنا، باسم جامعة سيّدة اللويزة، جامعة العذراء، لنهتف لك: باركه، يا ربّ، صليبه ثقيل، وجلجلته موجعة، ولكنّ القيامة آتية على يديه.
فيا صاحب الغبطة، من الجامعة التي أسّست، وبعد ثلاث وثلاثين على تلك الخطوة، عمرِ المسيح، وصلنا إليك. ها هي جامعتنا، بين يديك من جديد. نحن نستودعك إيّاها، لترعاها بالمحبّة والعطاء.
الطفلة الصغيرة التي وُلدت، في قلبك وعقلك، باتت اليوم صبيّة راقية، جريئة، حرّة، مثقّفة. كلّ ذلك بشفاعة مريم، ومحبّتك المستمرّة، وجهد الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، ونشاط وعقول وسواعد هؤلاء المؤمنين العاملين فيها.
آلاف الطلاّب تخرّجوا، من على أدراجها، سيبقى اسمك محفورًا في صدورهم، بحبر الوفاء والإكرام.
نحن، لا نريد أن نحتكرك لحساب جامعتنا فحسب، بل أنت لكلّ الجامعات في لبنان، كما جاء في خطاب التولية: لبنان لا تحتكره فئة، ففي ذلك احتقار لنا جميعًا. وهذه الجامعة هي كذلك تعلم أنّك ستولي الجامعات، كلّ الجامعات، بكلّ أُسرها، اهتمامك لكي يتأمّن لهؤلاء المئتي ألف طالب المستقبل الزاهر الذي يَنشدون في وطنهم لبنان.
أدامك الله. أكثر من زرعك وثمرك. وليعطنا الربّ أن نكون على قدر آمالك ومحبّتك. ولتحيَ البطريركيّة المارونيّة، لتحيا جامعة سيّدة اللويزة، وليحيا لبنان.
ثمّ كانت كلمةٌ للأستاذ **فرنسوا باسيل،** رئيس مجلس الأمناء في الجامعة جاء فيها:
بفرحٍ عظيم تلقّينا البِشارة، بشارةَ انتخابِكم يا سيّدنا بشارة رئيسًا لرؤساء كنيستِنا المارونيّة الإنطاكيّة وأبًا روحيًّا ومرجعيّةً وطنيّة، يُكمل مسيرة أسلافِه المجيدة، وبخاصّة مسيرةِ نيافةِ الكاردينال غبطةِ البطريرك مار نصرالله بطرس صفير، أطالَ الله عمرَه وجزاهُ خيرَ إيمانِه ومواقفه ومنجزاته. على أنّ فرحَنا نحنُ مضاعفٌ، ومقرونٌ بالفخرِ والاعتزاز، كونُكم ثاني راهبٍ لبنانيّ يتولّى سدّةَ البطريركيّة المارونيّة، بعد البطريرك الخامس والخمسين مار طوبيّا الخازن (١٧٥٦-١٧٦٦) .
وبفرحٍ عظيم، استمعنا مع سائرِ اللبنانيّين إلى خطابِكم في احتفالِ تَوْليتكم كما الى عظةِ الشكر التي ألقيتموها في قدّاسكم البطريركيّ





الأوّل، حيث عرضتُم الخطوطَ العريضة لتوجّهاتِكم المتعلّقة بمهامٍّ مقامِكم السامي، ولاسيّما تركيزِكم على عصرنةِ دوائرِ البطريركيّة وهيكليّتها التنظيميّة وتعزيزِ العلاقات مع الأبرشيّات والرهبانيّات، في لبنان ودنيا الانتشار، وعلى إيلاءِ عنصرِ الشباب وذوي الحاجاتِ الخاصّة والضعفاء من أبناءِ المجتمع، والعائلةِ المسيحيّة والعلاقاتِ بين كنائسِ الشرق الأوسط والحوارِ بين الأديان، وبخاصّةٍ بين المسيحيةِ والإسلام، الأولويّةَ الواجبة في سلّمِ اهتماماتِكم، وعلى السعي الدؤوبِ مع سائرِ الرؤساء الروحيّين والزعماء السياسيّين، وفي مقدّمهم فخامة رئيس الجمهوريّة، لترسيخ بناءِ الدولةِ العادلةِ والقادرة على أسسٍ عصريّةٍ ومتينة، بالحوارِ والتوافق، وضمن الاحترام الكاملِ للدستور اللبنانيّ وميثاقِ العيش المشترك والمناصفةِ بين المسيحيّين والمسلمين؛ وكلُّ ذلك بوحيٍ من الشعارِ الذي رفعتموه «شراكة ومحبّة».

فباسم مجلس أمناء جامعة سيّدة اللويزة، وباسمي الشخصيّ، نعلنُ أمامكم التزامنا متابعةَ مسيرةِ هذه الجامعة التي كُنتم حجرَ الأساسِ فيها. هي جامعتنا التي نحبّ ونعمل على تقدُّمها في سبيلِ إعدادِ جيلٍ لبنانيٍّ مؤمنٍ وملتزم. لقد ناديتَهم يا صاحب الغبطة، في خطبة التولية، بجيلِ المستقبل، جيلِ بناءِ لبنان، ونحنُ، اليوم، نؤكّد لكم، مع أسرة الجامعة، ومع رئيسِها أنّنا نتبنّى شعارَكُم «شراكة ومحبّة»، ونضعُ كاملَ إمكاناتِنا في تصرُّفِ غبطتِكم لمساعدتكم، بالطرقِ التي ترتأون، على نقلِ هذا الشعار من حيّزِ الطرحِ المبدئيّ إلى حيّزِ التطبيقِ العمليّ، في مختلفِ نواحي حياتنا الدينيّة والأكاديمية والوطنيّة.

صاحبَ الغبطة،

مبروكٌ لنا ولكم تَوَلّيكم سدّةَ البطريركيّة، أمدَّكم الله بكاملِ الصحّةِ والعافية ويسّر لكم سبلَ التوفيقِ والنجاح.

وتوجّه **البطريرك الراعي** إلى جماعة الجامعة محيّيًا ومذكّرًا ومصليًّا. قال:

أحيّيكم باسم البطريرك مار نصرالله بطرس صفير، الذي زار الجامعة عدّة مرّات وفي عدّة مناسبات.

أحيّي مجلس الأمناء، والهيئة الإداريّة، والهيئة التعليميّة، وكلّ الموظّفين.

أحيّي الأجيال الطالعة، شبابنا، أمل العائلة، أمل الكنيسة، أمل المجتمع، أمل الوطن، مستقبلنا. أحيّي من خلالكم هذا المستقبل.

وقد كانت الفكرة الأساسيّة وراء تأسيس جامعة سيّدة اللويزة عام ١٩٧٨، أن يبقى شباب لبنان في لبنان.

أحيّي جميع المؤسّسات المدنيّة والكنسيّة، والشركات والمصانع والمصارف، الذين يتهافتون على طلاّب جامعة سيّدة اللويزة. هذا مفخرة للجامعة. هذا الصيت يُكبر القلب. ولكنّ خير قوانا يغادرون البلاد لتحقيق ذواتهم وبناء عائلاتهم. ومطلبنا الأساسيّ هو المحافظة عليكم أنتم أجيالنا الجديدة، لأنّ مستقبل لبنان مرتبط بكم. ونأمل في أن تتمكّنوا من خلال هذه الجامعة الجميلة من أن تحقّقوا الأماني.

أضاف: هذه الجامعة بدأت صغيرة متواضعة مثل بيت لحم: ٧٢ طالبًا. وهاهي اليوم على ما هي عليه: ٦٥٠٠ طالب. وهنا أذكر كلمة ألبرت بدر: الجامعات لا تنمو مثل الفطر، بل مثل الزيتون. نحيّي شجرة الزيتون، وفي اللويزة زيتون نَعتبرُ به! والحقّ أنّنا لا نستطيع أن نبني حياةً وفرادةً إلاّ على مهل، كمثل ما ينمو الزيتون على مهل. فلا تستسهلوا ولا تفتّشوا عن السطحيّات. المرحلة التي تعيشونها في الجامعة لن تعود. كلّ معركة الحياة تُبنى على مقاعد الجامعة. والمؤسف أن تكونوا ضحيّة ما يجري اليوم، وأن تكون الآفاق أمامكم مغلقة، وأن تفكّروا بالهجرة، وأن يكون بعضُكم يعيش حياة عبثيّة غريبة عن مجتمعنا اللبنانيّ. ولكن، أنا أقول لكم: لا تخافوا من المصاعب والهموم والأزمات. هيّئوا ذواتكم بجمالات العقل والقلب، عيشوا فراداتكم، لأنّ الحياة لا تُؤتى لنا إلاّ مرّةً واحدة.

وختم: نحن متضامنون معكم في كلّ همومكم ليحقّقَ كلٌّ منكم فرادته. ولأجلكم نصلّي. أنتم غدنا، ولا غد من دونكم. عاشت جامعة سيّدة اللويزة. عاشت التربية والعلم. عاش لبنان.



مار بشاره بطرس الراعي
بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق للموارنة
السيرة الذاتيّة

انتُخِبَ بنعمة الله بطريركًا على رأس الكنيسة المارونيّة بتاريخ ١٥ آذار ٢٠١١

١-التعريف الأساسيّ

الاسم	المطران بشاره الراعي، مطران أبرشيّة جبيل المارونيّة.
الأب والأمّ	يوسف وثمينه الراعي.
مكان وتاريخ الولادة	حملايا- المتن (لبنان) في ٢٥ شباط ١٩٤٠.
النذور الاحتفاليّة	في الرهبانيّة المارونيّة المريميّة بتاريخ ٣١ تمّوز ١٩٦٢.
الرسامة الكهنوتيّة	٣ أيلول ١٩٦٧.
الرسامة الأسقفيّة	سيمَ نائبًا بطريركيًا عامًّا في بكركي بتاريخ ١٢ تمّوز ١٩٨٦.





٢-الدروس

١٩٥٧ – ١٩٦٢	الدروس التكميليّة والثانويّة في كليّة سيّدة الجمهور للآباء اليسوعيّين.
١٩٦٢ – ١٩٧٥	فلسفة ولاهوت (ليسانس) وحقوق كنسيّة ومدنيّة (دكتوراه) ومحاماة روتاليّة (٣ سنوات) في روما (جامعة مار يوحنّا اللاتران – محكمة الروتّا الرومانيّة).

٣-النشاطات والمهامّ في الرهبانيّة المارونيّة المريميّة

١٩٧٥ – ١٩٨١	شغل منصب رئيس مدرسة سيّدة اللويزه.
١٩٧٨ – ١٩٨٤	أسّس وتولّى إدارة «مركز اللويزه للتعليم العالي»- جامعة سيّدة اللويزه.
١٩٧٥ – ١٩٨٤	خادم لرعايا زوق مصبح (البلدة، نهر الكلب- المسيح الملك، أدونيس).
١٩٧٧ – ١٩٨٢	قاضٍ في المحكمة الابتدائيّة المارونيّة الموحّدة.
١٩٨٢ – ١٩٨٦	رئيس المحكمة البطريركيّة الاستئنافيّة.
١٩٨٤ – ١٩٨٦	رئيس مدرسة القدّيسة ريتّا الضبيّه وكاهن رعيّتي الصعود ومار جرجس – الضبيّه.

٤-النشاطات والمهامّ في الحياة الأسقفيّة

١٩٨٦ – ١٩٩٠	نائب بطريركيّ عامّ في بكركي.
١٩٩٠	مطران أبرشيّة جبيل منذ سنة ١٩٩٠، بعد فصلها عن الأبرشيّة البطريركيّة وجعلها أبرشيّة قائمة بذاتها.
١٩٨٦ – ١٩٩٢	مشرف على المحاكم الروحيّة المارونيّة.





١٩٨٦ – ١٩٩١	مشرف على رابطة كاريتاس لبنان.
١٩٩٢ – ١٩٩٥	عيّنه البابا يوحنّا بولس الثاني منسّقًا لسينودس الأساقفة الرومانيّ الخاصّ بلبنان.
١٩٨٨ – ٢٠٠٠	عيّنه الكرسيّ الرسوليّ رئيسًا للجنة تنسيق النشاطات الاجتماعيّة والراعويّة والإنمائيّة في كنيسة لبنان.
١٩٨٨ – ١٩٩٤	عيّنه البابا يوحنّا بولس الثاني عضوًا في المجلس البابويّ «قلب واحد».
منذ ١٩٩٢	منتخب من قبل سينودس أساقفة الكنيسة المارونيّة لعضويّة اللجنة القانونيّة ومحكمة السينودس.
منذ ١٩٩٥	عيّنه البابا يوحنّا بولس الثاني عضوًا في المجلس البابويّ لراعويّة المهاجرين والمهجّرين والسيّاح واللاجئين.
١٩٩٧ – ٢٠٠٩	منتخب من قبل جمعية البطاركة والأساقفة في لبنان (APECL) رئيسًا للجنة الأسقفيّة لشؤون العائلة في لبنان.
١٩٩٨ – ٢٠٠٣	عضو في اللجنة البطريركيّة لتطبيق الإرشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان» (لخمس سنوات).
١٩٩٨–٢٠٠٩	منتخب من قبل سينودس أساقفة الكنيسة المارونيّة عضوًا في السينودس الدائم.
منذ ١٩٩٩	عيّنه البابا يوحنّا بولس الثاني عضوًا في مجلس رئاسة المجلس الحبريّ للعائلة.
١٩٩٩ – ٢٠٠١	عيّنه الكاردينال سيلفستريني رئيس مجمع الكنائس الشرقيّة، عضوًا في اللجنة العلميّة للمؤتمر الدوليّ حول مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة (١٩–٢٣ تشرين الثاني ٢٠٠١).
منذ ٢٠٠٠	عيّنه الكاردينال البطريرك مار نصراللهّ بطرس صفير ممثّلاً للكنيسة المارونيّة في اللجنة الأسقفيّة لخدمة المحبّة.
٢٠٠٠ – ٢٠٠٦	انتخبه السينودس المارونيّ عضوًا في لجنة التنسيق والتخطيط بين السلطة الكنسيّة والرهبانيّات المارونيّة.
منذ ٢٠٠٣	منتخب من سينودس أساقفة الكنيسة المارونيّة أمين السرّ للسينودس.
منذ ٢٠٠٤	منتخب من سينودس الكنيسة المارونيّة مشرفًا على توزيع العدالة في محاكم الكنيسة المارونيّة ورئيس محكمة السينودس في الدعاوى القضائيّة للأساقفة والأبرشيّات.
٢٠٠٥	عيّنه مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك منسّقًا للجان الأسقفيّة للعائلة في بلدان الشرق الأوسط.
٢٠٠٩	منتخب من قبل جمعيّة البطاركة ولأساقفة في لبنان (APECL) رئيسًا للجنة الأسقفيّة للإعلام الكاثوليكيّ في لبنان.
٢٠١٠	عيّنه البابا بندكتس السادس عشر عضوًا في المجلس الحبريّ لوسائل الاتصالات الاجتماعيّة.
٢٠١٠	انتخب عضوًا في مجلس تطبيق قرارات جمعيّة سينودس الأساقفة الخاصّة بالشرق الأوسط، ممثّلاً الكنيسة المارونيّة.
٢٠١١	جدّد البابا بنديكتوس السادس عشر عضويّته مرّة ثالثة لمدّة خمس سنوات في المجلس الحبريّ لراعويّة المهاجرين والأشخاص المتنقّلين.

٥-تعليم

١٩٧٨ - ١٩٨٧ أستاذ محاضر في مادّة الحقّ القانونيّ في جامعة القدّيس يوسف (بيروت).

١٩٩٢ - ٢٠٠٠ أستاذ محاضر في مادّة الحقّ القانونيّ في كليّة الحقوق (الكسليك).

٢٠٠١-٢٠١٠ أستاذ محاضر في اللاهوت الراعويّ وسرّ الزواج في كليّة اللاهوت الحبريّة (الكسليك).

٢٠٠١-٢٠١٠ أستاذ محاضر في مادّة الحقّ القانونيّ في جامعة الحكمة بيروت.

٦-الرسائل الراعويّة

١-«أنا معكم كاهن ولأجلكم أسقف»، إحتفال تولية المطران بشاره الراعي على أبرشيّة جبيل، الأحد ٨ تمّوز ١٩٩٠.

٢-«أجهزة الأبرشيّة الإداريّة والاجتماعات والرعويّة»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ١، ١٩٩٠.

٣-«مدخل إلى إعداد الجمعيّة الخاصّة لسينودس الأساقفة من أجل لبنان»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٣، ١٩٩١.

٤-«تجدّد وشهادة، على هدى المجمع الراعويّ من أجل لبنان»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٤، ١٩٩٢.

٥-«وقاف الرعايا في أبرشيّة جبيل، الوقف وغاياته- النظام الداخليّ- دور العلمانيّين»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٥، ١٩٩٤.

٦-«رجاء وتجدّد وشهادة، دخول في مسيرة سينودس الأساقفة من أجل لبنان»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٦، ١٩٩٥.

٧-«تطبيق الشرع الخاصّ بالكنيسة المارونيّة في أبرشيّة جبيل»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٧، ١٩٩٦.

٨-«مواضيع لتحضير الزواج في أبرشيّة جبيل المارونيّة»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٨، ١٩٩٨.

٩-«المجمع الأبرشيّ، يسوع المسيح ينبوع التجدّد والشركة في الكنيسة»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ٩، حزيران ١٩٩٩.

١٠-«سنة اليوبيل الكبير المقدّسة وترتيبات لنيل الغفرانات»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ١٠، ٢٠٠٠.

١١-«خدمة المحبّة في الأوقاف والرعايا والأبرشيّة، توجيهات إداريّة وراعويّة»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ١١، ٢٠٠٦.

١٢-«الله محبّة، رسالة البابا بندكتوس السادس عشر، مواعظ الصوم»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ١٢، ٢٠٠٦.

١٣-«دليل الكاهن والرعيّة والعمل الرعويّ»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ١٣، ٢٠٠٧.

١٤-«دليل الأسقف والدائرة والهيكليّات»، سلسلة حضارة المحبّة، عدد ١٤، ٢٠٠٨.



٧-مؤلّفات مطبوعة

- سلسلة التنشئة المسيحيّة، الجزء الأوّل، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ (منشورات جامعة سيّدة اللويزة).
- سلسلة التنشئة المسيحيّة، الجزء الثاني، ٢٠٠٦-٢٠٠٧ (منشورات جامعة سيّدة اللويزة).
- سلسلة التنشئة المسيحيّة، الجزء الثالث، ٢٠٠٧-٢٠٠٨ (منشورات جامعة سيّدة اللويزة).
- سلسلة التنشئة المسيحيّة، الجزء الرابع، ٢٠٠٨-٢٠٠٩ (منشورات جامعة سيّدة اللويزة).
- سلسلة التنشئة المسيحيّة، الجزء الخامس، ٢٠٠٩-٢٠١٠ (منشورات جامعة سيّدة اللويزة).
- الزواج، تعليم واجتهاد قضائيّ، ٢٠٠٧ (منشورات جامعة الحكمة).
- الأصول العلميّة لسير الدعوى أمام المحاكم الكنسيّة، دور الوكيل والمحامي، ٢٠١٠ (منشورات جامعة الحكمة).



٨-أوسمة

١٩٩٤ وسام الاستحقاق الوطنيّ رتبة كومندور من رئيس جمهوريّة إيطاليا.

٢٠٠٧ وسام الأرز الوطنيّ رتبة كومندور من رئيس جمهوريّة لبنان.

الموارنة ومجدُ لبنان





مرّةً أخرى، ولن تكونَ الأخيرة، ما دامَ هو الأوّلَ في بيوتِ المارونيّةِ واللبنانيّةِ وبلادِ الانتشار.. يُكرَّمُ، وبه يَليقُ التكّريم: الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق! فتحت عنوان: الموارنة ومجدُ لبنان، دعت البطريركيّة المارونيّة، وبالتعاون مع جامعة سيّدة اللويزة، إلى **لقاء موسيقيّ**، مساء السبت ١٩/٠٢/٢٠١١، في القاعة الخارجيّة لصرح بكركي.

وجاء في نصّ الدعوة أنّها بذكرى ١٦٠٠ سنة على وفاة القدّيس مارون، و٢٥ سنة على اعتلاء غبطة البطريرك السدّة البطريركيّة.

«الموارنة ومجدُ لبنان» كتبَ نصَّه البروفسور الأب يوسف مونّس، وموسيقاه الأبوان خليل رحمه وفادي طوق، وأنشدته جوقتا جامعة ومدرسة سيّدة اللويزة وكلٍّ من السيّدين جوزف عيسى وجلال بوسيك؛ وقد حظي بحفاوةٍ كبيرة من جمهورٍ واسعٍ قادرٍ ومحبّ، أَمَّ صرحَ بكركي وأحاطَ بسيِّدها، الذي قال في الختام: لا أجد كلامًا يفي بما عليَّ حيالَكم من واجب تقدير واحترام. أشكركم وأسال الله أن يكافئكَم خيرًا. وأضاف: قيل إنّ من رتّل صلّى مرّتين، وأنتم صلّيتم هذه الليلة مرّتين: مرّةً من أجلي، ومرّةً من أجلكم. فالصلاة هي التي ترفع الانسان إلى الله، والله هو مصدر كلّ خير؛ وإنّي أسأل الله تعالى أن يفيضَ عليكم خيورَه، وأن يبقيكَم في صحّة وعافية لتظلّوا مثلَ عطاء في كلِّ شيء.

وكان رئيس الجامعة **الأب وليد موسى** استهلَّ اللقاء بكلمةٍ جاء فيها: نحن في بكركي! مبارك هو الإسم، ومبارك هذا الحضور، ويا طيبَ الجلوس في ظلال العذراء، وفي حمى بطريرك وأساقفة، أُعطوا أن يكونوا الرعاةَ الطيّبين لشعب مؤمن بالله وبالانسان وبلبنان!!

جامعة سيّدة اللويزة تفخر باستقبالكم في بيتها. فبكركي هي بيت كلّ الموارنة، كلّ الرهبان، كلّ الجامعات والجمعيّات الكاثوليكيّة، كلّ لبنان واللبنانيّين؛ فأهلاً بكم.

صاحب الغبطة

عيدُنا اليوم، متعدّدُ الأبعاد والمناسبات:

هو فضّيّ، وخمس وعشرون سنةً في سدّة البطريركيّة ترسل أضواءها الفضّية خيرًا علينا وعلى الوطن.

هو ذهبيّ، وخمسون سنةً في سدّة الأسقفيّة تشهد لأجواء القداسة والوطنيّة التي أحاطت بأبينا نصرالله صفير.

وهو قديم، وألفٌ وستُّمايةِ سنةٍ من القداسة تشهدُ لأبينا مارون أنّ هذا الوطن لن يكون إلاّ وطنَ التعدّد والحريّة والانفتاح.

أيّها الأصدقاء

كثيرون اليوم يتحدّثون في السياسة وهمومها وسمومها. نحن لا. نتحدّث لغة الفرح، لغة الموسيقى، لغة الفنّ والجمال.

فجامعة سيّدة اللويزة تفخر أن تقدّم لكم هذا اللقاء تحت عنوان: الموارنة ومجد لبنان، بمشاركةِ ثلاثيّةِ المظهر والجوهر: فالنصّ للأب يوسف مونّس، والألحان للأبوين خليل رحمة وفادي طوق؛ وبذلك تشارك الرهبانيّات الثلاث: اللبنانيّة والمريميّة والأنطونيّة، في هذا العمل الفنيّ المقدّس. فشكرًا لهم، وتحيّة محبّة لجوقة جامعة سيّدة اللويزة ولأطفال معهد سيّدة اللويزة. وشكرًا لمن اعتنى بتنظيم هذا الاحتفال، وتحيّة تقدير لوسائل الإعلام المشاركة.

ويا صاحب الغبطة

كلمة أخيرة: مبارك لك العمر! والتسعون لحظةٌ عبرت. شكرًا لغبطتك. فأنت لا تمرّ، ولست رقمًا، بل تستقرّ في القلوب والأذهان.

النيافة، الغبطة، السيادة... وقلِ الفخامةَ والمعالي والسعادة... كلُّها تزول.

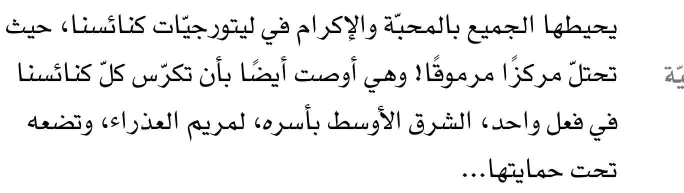
الأجمل اثنتان: أبانا... ويا معلّم.

وأنت الأب، وأنت المعلّم... وستبقى.

نظرة إلى مريم في التراث المارونيّ







استضافت الجامعة يومَي الجمعة والسبت ٣ و٢٠١٠/١٢/٤ المؤتمر المريميّ الثالث، الذي دعت إليه الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، وكان بعنوان: نظرة إلى مريم العذراء في التراث المارونيّ؛ وذلك لمناسبة يوبيل ١٦٠٠ سنة على انتقال مار مارون إلى بيت الآب.

حاضر في المؤتمر **المطران يوسف بشاره** في «بالنسبة للموارنة، من هي مريم العذراء؟»، **والأباتي يوحنّا تابت** في «مريم العذراء في البيت غازات المارونيّة»، **والأب هاني مطر** في «مريم العذراء في القدّاس المارونيّ: بين الأمي واليوم»، **والأب خليل رحمه** في «ترانيم مريميّة مارونيّة»، **والأب مارون الشدياق** في «مريم العذراء في أشعار المطران جرمانوس فرحات»، **والأب إيلي أبي عاد** في «مريم العذراء عند المطران يوسف دريان».

ولعلَّ في بعضِ ما جاء في افتتاحيّة الرئيس العامّ للرهبانيّة **الأباتي سمعان أبو عبده** ما يُلقي شيئًا من ضوء على الأجواء التي دار فيها المؤتمر.. قال:

ولأنّ لمريم مكانتها في كنيستنا، فإنّ جمعيّة سينودس الأساقفة الخاصّة بالشرق الأوسط، وضعت تحت حماية مريم، أمّ الإله Théotokos، وأمّ الكنيسة، كلّ أعمالها. وأوصت المؤمنين والمؤمنات باتّخاذها مثالاً أسمى؛ كيف لا، وهي ابنة هذا الشرق، يحيطها الجميع بالمحبّة والإكرام في ليتورجيّات كنائسنا، حيث تحتلّ مركزًا مرموقًا؛ وهي أوصت أيضًا بأن تكرّس كلّ كنائسنا في فعل واحد، الشرق الأوسط بأسره، لمريم العذراء، وتضعه تحت حمايتها...

وأضاف: لا شكّ في أنّ مكانة مريم كبيرة في كنيستنا. لكنّنا، وربّما، لا نعي بصورة واضحة ملامح هذه الأمّ الشفيعة بالنسبة إلينا كأشخاص يحيون في إطار كنسيّ مارونيّ عريق. لذا، فإنّه حريٌّ بنا أن نعيد النظر في تراثنا الليتورجيّ، ونحيي الدّفين منه، ذاك الذي يعبّر عن إيمان عميق ينمو في مدرسة مريم العذراء وينهل منها اتّجاهات مميّزة للعبادة والحياة.

إنّ مريم بالنسبة إلينا نحن الموارنة، تحتلّ مكانة الأمّ والشفيعة والسيّدة الضامنة لحماية أبنائها، ما يعكس إيمانًا عميقًا نشأَ وترعرع في حمى والدة الإله؛ وهذا ما سيتطرّق إليه المحاضرون... (أعمال المؤتمر تصدر في منشورات الرهبانيّة المارونيّة المريميّة).





قراءة في فكر الكنيسة الاجتماعيّ




برعاية البطريك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، وتحت عنوان: قراءة في فكر الكنيسة الاجتماعيّ، نظّمت رابطة كاريتاس لبنان بالشراكة مع جامعة سيّدة اللويزة، وفي الجامعة يومَي ٣ و٤ آذار ٢٠١١، مؤتمرًا شارك فيه مختصّون ومعنيّون.

رئيس الجامعة **الأب وليد موسى**، وبعد ترحيبه الجامع، أضاء على الموضوع بقوله:

«مجّانًا أخذتم ومجّانًا أعطوا»... هذا هو شعار الكنيسة في نظرتها إلى الإنسان والمجتمع. فمنذ ألفي سنة، وكلام المسيح، يبقى أساسًا عقائديًّا لفكرنا الاجتماعيّ ولنظرة الكنيسة إلى المجتمعات البشريّة.

ففي رسالة حول الشأن الاجتماعيّ صادرة سنة ١٩٨٧، يدعونا البابا الراحل يوحنّا بولس الثاني إلى «التضامن»، والعمل من أجل الخير العامّ، أي من أجل خير الكلّ وكلّ فرد، لأنّنا جميعًا مسؤولون حقًّا عن الجميع».

وبالفعل، مارسنا، في لبنان، هذه المسؤوليّة التضامنيّة، من خلال «العونة» التي عرفناها في قُرانا وجبالنا، والتي تعبّر عن تعاون الكلّ مع الكلّ من أجل الخير العامّ.

وإذا كان البابا لاوون الثالث عشر يعتبر في رسالة الشؤون الحديثة سنة ١٨٩١ أنّ «الفروقات بين الناس، في الذكاء والمهارة والبراعة والصحّة والقوّة، هي فروقات صحيحة تولّد، تلقائيًّا، اللامساواة في الأوضاع»، فإنّه، وبسبب ذلك، يدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة لتخفيف هذه الفروقات ولتوفير تكافؤ الفرص للجميع.

وفي المجمع البطريركيّ المارونيّ الأخير، سنة ٢٠٠٦، أقرّت الكنيسة المارونيّة بأنّ «رسالتها هي بالأساس الشهادة على عالم الروح في عالم المادّيات، وعلى عالم المحبّة والخدمة والتضحية، في عالم المنفعة والأنا وحبّ الذات، وعلى عالم الصلاة والتأمّل والصمت، في عالم الضجّة والصخب وحبّ المظاهر. ولهذا، فإنّها تسعى إلى تحقيق مبادئ جوهريّة تقوم على تأمين حريّة الإنسان وكرامته وحقّه في النموّ وفي تحقيق ذاته».

وقد أصدر البابا بندكتوس السادس عشر رسالته: المحبّة في الحقّ Caritas in veritate سنة ٢٠٠٩ مشدّدًا على الحاجة إلى الأخلاقيّات في المجال الاقتصاديّ، مؤكّدًا على مبدأ المجّانيّة ومنطق العطاء، داعيًا إلى احترام حقوق الإنسان وعلاقته مع الآخرين.

وهذا ما تحاول كاريتاس أن تقوم به خلال مسيرتها، لاسيّما في لبنان، وفي أوضاعه الصعبة.

رئيس رابطة كاريتاس لبنان **الخوري سيمون فضّول** قال بدوره: لقد اخترنا أن ننظّم هذا المؤتمر بالشراكة مع جامعة سيّدة اللويزة، لأنّ كاريتاس تعتبر أنّ عملها يجب أن يمتاز بروح المسيح وبالخدمة التي توصينا بها الأمّ الكنيسة لتأتي خدمةً متفانية، مجّانية، شاملة وغير مشروطة. وهي تؤمن أنّ فكر الكنيسة الاجتماعيّ يجب أن يصبح معروفًا، وتقع علينا جميعًا مسؤوليّة نشره في مجتمعاتنا المشرقيّة عامّة واللبنانيّة خاصّة؛ وهل أصلح من الجامعة مكانًا لإطلاق برنامج يهدف إلى نشر هذا الفكر ووضعه موضع التطبيق بواسطة باقة من الشبّان والشابّات من لبنان وبلدان الشرق الأوسط، سيتمّ تدريبهم خلال شهرَي حزيران وتمّوز ٢٠١١ كي يصبحوا رسُلَ هذا الفكر وفَعَلَتَهُ!!

ثمّ أضاف سائلاً: في كلّ أنحاء العالم، نشهد مجتمعات يسودُها الظلم والقهر أو ما زالت تعيش في غُربة عن أيّ تقدّم مجتمعيّ يقدّم خير الانسان وكرامته على كلّ ما عداه. وطننا



ليس استثناءً، بل ما يعانيه عدد كبير من أبنائه يجب أن يشكّل صرخةً في ضمير كلّ واحد منّا وفي ضمائر المسؤولين. هل نقف أمام أوضاع كهذه مكتوفي الأيدي متسائلين كيف نتحرّك وإلى أين، أم نبادر إلى اتّخاذ مبادرات وتعميم ثقافة غيريّة تضامنيّة تسمح بأن يساند القويّ الضعيف، وبأن نتبنّى رؤيةً مشتركة تسمح لوطننا بالعبور إلى مستوى الأوطان تتجاوبُ مع طموحات أبنائنا؟؟

المطران جورج بو جوده، من جهته أكّد على أن إذا كانت الكنيسة تعطي هذه الأهميّة الكبرى للأمور والقضايا التي لها علاقة مباشرة بحياة الناس الاقتصاديّة والسياسيّة والوطنيّة والاجتماعيّة، فلأنّ الايمان المسيحيّ ليس دينًا مبنيًّا على نظريّات فكريّة وفلسفيّة مجرّدة، ولا هو مجرّد إيدولوجيّة، بل هو إيمان متجسّد، لا بل إيمان التجسّد.

وأضاف: وبما أنّ الكنيسة تعيش في العالم وتتفاعل معه، فإنّ مشاكل هذا العالم وقضاياه لا يمكن أن تبقى غريبة عن اهتماماتها. ولأنّ هذه القضايا والمشاكل ليست ثابتة ومتحجّرة، بل هي تتطوّر وتتغيّر باستمرار بفعل التطوّرات والتغيّرات التي تحصل في المجتمع من جرّاء عمل الانسان وأبحاثه ودراساته واكتشافاته واختراعاته، فإنّ موقف الكنيسة يتطوّر هو أيضًا باستمرار ليكون دائمًا متوافقًا مع الأوضاع المستجدّة ومع الظروف. وهذا ما حصل ويحصل، خاصّة منذ حوالى المائتي سنة، أي منذ بدأ النظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ يتغيّر ويتبدّل من جرّاء ما سُمّي ابتداء من سنة ١٨٣٠ الثورة الصناعيّة.

وتابع: أمّا الموضوع الأساسيّ الذي يدور حوله تعليم الكنيسة الاجتماعيّ والتزامها بالدفاع عن الانسان فهو كرامة الانسان، صورة الله، والمحافظة على حقوقه التي لا تنهك وبصورة خاصّة حقّه في الوجود وحقّه في الحياة، منذ اللحظة التي يتكوّن فيها في حشا أمّه وحتّى نهاية حياته بصورة طبيعيّة.

وأمّا المواضيع الأخرى التي يدور حولها تعليم الكنيسة الاجتماعيّ. والتي هي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بموضوع كرامة الانسان، قال المطران بو جوده، فهي:

١. حقّ الانسان في حياة لائقة وكريمة، وعدم استغلاله من قبل القوى المنتجة، رأسماليّة كانت أم اشتراكيّة وشيوعيّة، وعدم جعله سلعة للمتاجرة وتحويله إلى مجرّد آلة أو ماكينة لا قيمة لها ولا كرامة ولا احترام. وهذا ما لفت الانتباه إليه وما حذّر منه البابا بيّوس الحادي عشر في رسالته العامّة «أربعون سنة» حيث قال: تخرج المادّة من المصنع معزّزة ومكرّمة، بينما يخرج الانسان منه محتقرًا ومذلولاً.

٢. حقّ الانسان في الملكيّة الخاصّة، مع الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط مصلحته الشخصيّة بل مصلحة الآخرين أيضًا: فلا يكون هناك استئثار أو احتكار من جهة، وعوز وفاقه من جهة أخرى، بسبب الاستعمال الخاطئ لهذه الملكيّة. كما يجب التركيز على أنّ للملكيّة الخاصّة وظيفة اجتماعيّة.

٣. حقّ الانسان في التجمّع وإقامة الجمعيّات المهنيّة والنقابات من أجل الدفاع عن حقوقه المشروعة بالوسائل الديمقراطيّة واللاعنفيّة، وبالتالي حقّه في التعبير عن رأيه بحريّة بواسطة الإضرابات والتظاهرات السلميّة الهادفة إلى تحقيق مطالبه. ولا يحقّ للدولة منعه من إقامة هذه التجمّعات، لأنّها بذلك تمنع ذاتها عن الوجود لأنّها هي بذاتها تجمّع.

٤. حقّ الانسان في الأجر العادل الذي من المفروض أن يؤمّن له ولعائلته حياة لائقة وكريمة. وأن يؤمّن له كذلك وفرًا يستطيع من خلاله النظر بثقة إلى المستقبل. وقد تطوّرت النظرة إلى هذا الأجر من مجرّد مبلغ يدفع للعامل ثمنًا لعدد من ساعات العمل، إلى ما سمّي الأجر الاجتماعيّ الذي يفترض أن يأخذ بعين الاعتبار التطوّرات الحاصلة في المجتمع من مثل ارتفاع مستوى المعيشة وغير ذلك من التطوّرات.

٥. حقّ الانسان في الراحة وفي تحديد ساعات العمل، وفي الحصول على أوقات كافية لاسترداد عافيته والحصول على إمكانيّات للتسلية واللهو البريء والشرعيّ. ويرتبط بهذا الحقّ حقّ المرأة العاملة التي تجب معاملتها باحترام وعدم استغلال ضعفها الجسديّ وتحميلها أكثر من طاقتها، وحقّ الطفل الذي لا يجب دفعه إلى ساحة العمل باكرًا.

٦. حقّ العامل في أن تكون له كلمته ورأيه في الإنتاج وكيفيّته، وفي أن يستطيع الحصول على ما يكفيه لكي يتحوّل إلى شريك في العمل والتخطيط والتصميم، فلا يبقى مجرّد منفّذ آليّ لأوامر تعطى له من مجهول.

٧. وأخيرًا، يجب العمل على إحقاق الحقّ والعدالة بصورة دقيقة بين مختلف شرائح المجتمع، فلا يبقى التفاوت كبيرًا بين متموّلين كبار يستولون على كلّ وسائل الإنتاج ويسيطرون عليها، وفقراء بائسين يستطيعون «بالكاد» تأمين لقمة العيش لهم ولعيالهم. وهذا ما يمكننا تسميته الحقّ في إيجاد طبقة متوسّطة، فلا يبقى المجتمع منقسمًا إلى طبقتين متفاوتتين: الأثرياء والبائسين.

الأخت د. كاتيا مخايل رأت في قراءتها لفكر الكنيسة الاجتماعيّ أنّه يتأسّس على مبادئ ثابتة، ويشير إلى قيم أساسيّة.
أمّا المبادئُ فأربعةٌ: أوّلُها مبدأُ كرامة الانسان، وهو ركيزةُ كلِّ المبادئ. والثاني مبدأُ الصالح العامّ؛ ومنه ينبع مبدأ الوجهة العالميّة لخيرات الأرض، وخيارُ الكنيسة إعطاءُ الأفضليّة للفقراء. والثالث مبدأُ التبعيّة وفرعيّة السلطة؛ ومنه ينجم مبدأ المشاركة كحقٍّ وواجبٍ على المستويين الوطنيّ والعالميّ. والرابع التضامن من منطلق مبدأ الكرامة الانسانيّة والمساواة بين البشر.
وأضافت أنّ لكلٍّ من هذه المبادئ معنىً خلقيًّا عميقًا يخصّ كلاًّ من التصرّف الشخصيّ للأفراد والمؤسّسات وعلى جميع المستويات. وفضلاً عنها، فإنّ ثمّة قيمًا أخرى ملازمةً لها، وهي قيم الحقيقة والحريّة والعدالة والمحبّة.
وانتهت الأخت مخايل إلى اعتبار أنّ المحبّة هي السبيل الرئيسيّ لفكر الكنيسة الاجتماعيّ. فهي تعطي جوهرًا حقيقيًّا للعلاقة الشخصيّة مع الله ومع القريب. وهي ليست فقط مبدأ للعلاقات الصغيرة: علاقات الصداقة، والعلاقات العائليّة، والعلاقات ضمن مجموعات صغيرة، بل هي أيضًا مبدأ للعلاقات الكبيرة: العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. وهكذا تصبح المحبّة محبّة اجتماعيّة وسياسيّة: تجعلنا نحبّ الصالح العامّ وتدفعنا إلى البحث بفعاليّة عن خير جميع الأشخاص، ليس فقط على الصعيد الفرديّ، ولكن أيضًا ضمن البعد الاجتماعيّ الذي يجمعهم.
ومن المداخلات التي كانت أيضًا مداخلةٌ **للأب بولس وهبه،** جاء فيها:
إنّ خطأ أيّ لاهوت مبنيّ على «الهمّ الاجتماعيّ» هو في أنّه يفتّش عن الحلول لمشاكل العالم في العالم، أو يستقيها من العالم نفسه. الحلّ لا يكون باستبدال الصلاة بالعمل، بل بوضع مقدار أكبر من الصلاة في الأعمال.
واقترح أنّه علينا أن نموضع القضايا الاجتماعيّة والعمل الاجتماعيّ بصورة عضويّة في حياة الرعيّة الواحدة، أو لنقل أيضًا الأبرشيّة الواحدة. يجب وضع القضايا الاجتماعيّة في صلب الأجندة لهذه الجماعة. فإذا كانت المسؤوليّة «مساحة ضمن رسالة الكنيسة ، فيجب أن تنعكس في صلب عملها وحياتها».





حضارة الإنسان في تنبّؤات بيتيريم سوروكين العلميّة من الخضوع لِسُنّة الطبيعة إلى الخيار الحرّ لِرهان بناء إنسانيّةِ الإنسان

خلاصة الندوة
عبدو قاعي وسهيل فرح

في خلاصة الندوة حول بيتيريم سوروكين المنعقدة في جامعة سيّدة اللويزة، في ٢٠١١/٠٣/٢٤ ، والتي تعرّضت للآفاق الجديدة التي فتحها سوروكين في مجالات التحليل العلميّ للظاهرات الإجتماعيّة في أبعادها الثقافيّة وفي ديناميّة حركتها التاريخيّة والنفسيّة، وعلى صعيد كلٍّ من سجلاّت الحياة، وأهمّها الدين والجماعات الإنتمائيّة والأوطان والتكتُّلات الأخرى العابرة للأزمِنة، انتهى كلٌّ من منسّق المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة في جامعة سيّدة اللويزة عبدو قاعي ومدير البيت اللبنانيّ الروسي سهيل فرح، اللّذين أشرفا على تنظيم النّدوة، إلى استخلاص ما يأتي:

أوّلاً: في الرهانات

هناك رهانان أساسيّان يتمّ تداولهما في عالمنا الذي دخل أخيرًا في حالةٍ من التغيُّرِ السريع تقرِّبهُ من حافّة التفجُّر، أيّ إعادة إنبعاث المعنى بشكل ولادة جديدة هي موجعة ومفرحة في آنٍ.
هذان الرهانان يتراءيان لنا، إنطلاقًا من تجربة سوروكين، وكأنّهما مجسّدان في معانٍ في حالةٍ من التضاد الكلّي نُعبّر عنها بالآتي:

الرّهان الأوّل وهو الرّهان الرّاهن: هو رهان على نظام الحياة كما هو قائم على الأرض، والذي هو الفرز الطبيعيّ كمقياس لكلّ شيء.

الرّهان الثاني وهو الرّهان المحسوس في العمق الإنسانيّ: هذا الرِّهان هو هذا التحدّي القائل إنّ في قدرة الإنسان إكمال ما لم تفعله سُنّة الطبيعة، عبر الإنعطاف نحو من هو ضعيف، بدلاً من إزالتهِ، من أجل إعادة القوّة بالتساوي للجميع؛ فيعمّ السلامُ الأرضَ، ويصبحُ الموتُ قوتًا للحياة. وهذا الرِّهانُ هو ما دعاه بيتيريم برهان الحبّ، وهو رهان البحث السوسيولوجيّ في العمق الثقافيّ الذي يساعد على معالجة بؤر النزاعات القائمة في طيّات الثقافات، هذه البؤَرِ التي تمزِّق الثقافات من الداخل والتي تفصلها بعضها عن بعضها الآخر.

هذان الرهانان هما أزليّان. ولكنّ البشريّة راحت دائمًا تفضّل أحدهما على الآخر وراء ستار غلبَهُ المنطق السّائد، الذي يقضي، بصورة واضحة أم مبطّنة، بمنح الحقّ لسلطة منطق القوّة، قوّة الذي يقوى على البقاء في زمن الصعوبة، وقوّة الذي يسيطر على غيره من الضعفاء ليستفيد من ضعفهم في مجالات خدمة قوّة الأقوياء.

والأخطر من ذلك أنّ البشريّة راحت تبني خياراتِها تحت غطاء الأخلاق الدينيّة والإجتماعيّة، التي تدعو إلى التمييز في الكفاءات والقدرات، والتي تسعى إلى تقدير أصحاب القدرات والحطّ من شأن الذين تعثّروا في طريقهم لاكتساب المعارف، وفقًا للمقاييس الموضوعة من قبل النظام المؤسّسي القائم، والذي لا يتلاءم مع تطلُّعاتهم الإنسانيّة وإمكاناتهم الفرديّة.

أمّا الرّهان الثانيّ فقد ظلَّ سرًّا يَتداولهُ الأنبياءُ والرُّسل والشّهداء والقدّيسون العظماء، والشّعراء النُّبهاء، والمفكّرون الحكماء، والبسطاء من الفلاّحين والعاملين الكادحين، والمهمَّشون الرّازحون تحت نير الطغيان، والصّامتون والمتألّمون وغيرهم وغيرهم. لكنّهم كلَّهم شُرِّدوا، واضُطهدوا، ورُذلوا وشُتموا وقُتلوا... وفي النهاية بقوا في ذاكرة الحياة. هم كلُّهم، كسوروكين، بقوا ليتفقّدوا قلب الإنسانيّة، كي لا يتحطّمَ هذا القلبُ على طريق القرارات الباردة الصّادرة عن أصحاب السّلطة المتحكِّمة برهان إبقاء النّزاع.

فما العمل؟

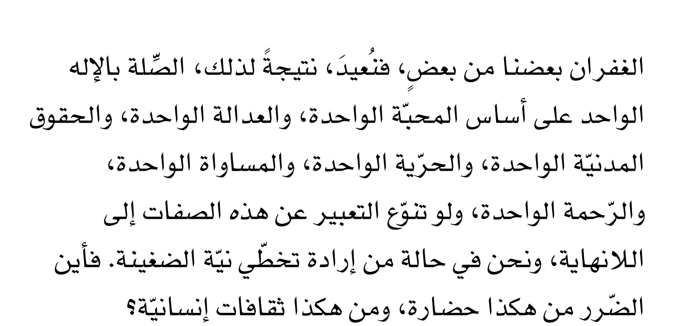
الجواب سهل: بناء الإنسانيّة وفقًا للرِّهان الثاني.

يُقال هذا ضربٌ من المثاليّة. جوابُنا: فليكُن!

جوابنا هو أن نتربّى على الصّدق والمحبّة والإيمان بكلّ الأنبياء.

جوابنا هو أن نتحاشى تجارب الدماء كلّها. جوابنا هو أن نطلب





الغفران بعضنا من بعضٍ، فنُعيدَ، نتيجةً لذلك، الصِّلة بالإله الواحد على أساس المحبّة الواحدة، والعدالة الواحدة، والحقوق المدنيّة الواحدة، والحرّية الواحدة، والمساواة الواحدة، والرّحمة الواحدة، ولو تنوّع التعبير عن هذه الصفات إلى اللانهاية، ونحن في حالة من إرادة تخطّي نيّة الضغينة. فأين الضّرر من هكذا حضارة، ومن هكذا ثقافات إنسانيّة؟

في الإستنتاجات

بناءً على هذه المنطلقات الفكريّة والروحيّة التي توّجت أعمال هذه النّدوة المنظّمة من قبل المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة بالتعاون مع البيت اللبنانيّ الروسيّ والمعهد الدوليّ لبيتيريم سوروكين، والتي سمحت بإستخلاص الرّهانات المحدّدة أعلاه، يهمُّنا نحن العلماء المشاركين في الندوة أن نؤكّد على راهنيّة وأهميّة الفتوحات المعرفيّة الكبرى التي قام بها عالم السوسيولوجيا الكبير، الأميركيّ الروسيّ، بيتيريم سوروكين، وحمَلت كما تحملُ في دلالاتها ومعانيها زادًا معرفيًّا وعلميًّا جمًّا، ليس فقط للقرن العشرين، بل أيضًا للقرن الواحد والعشرين، فتشكِّل هكذا نبوءات سوروكين في جوهرها خارطةَ طريق مضيئة لصنّاع القرار في عوالم السّياسة والدّين والثقافة والإقتصاد والفنون والرّوحانيّات.

وبناءً عليه أيضًا، فإنّ الأبحاث التي قدّمها العلماء الرّوس والعرب، كما تلك التي قدّمها المشاركون في النّدوة، أضاءت على فكر سوروكين التنبّؤيّ إنطلاقًا من منهجهِ السوسيولوجيّ المبنيّ على الملاحظة العميقة لديناميّة الحراك داخل الثقافات وفي ما بينها عبر الأزمنة من ناحية، وعلى فلسفتهِ التكامليّة من ناحيةٍ أخرى. وقد أظهرت هذه الأبحاث بشكلٍ خاصّ مقدرة سوروكين على استكشاف أُفق ما بعد الأزمات العضويّة التي عاشتها حضارة عصر الحداثة، أي ذلك الأُفق الذي يُطلُّ على الفكر الإنسانيّ المفتوح على رهان علميّة التنبّؤ، إذا صحّت المعالجة بالحبّ لأجل إحلال حضارة الإنسان.

بالإستناد إلى هذه الأبحاث، يَهمُّنا التأكيد على الإستنتاجات الآتية:

أوّلاً: إنّ الأزمات العضويّة التي تعيشها الحضارة الإنسانيّة قد دخلت فعلاً حقبةً جديدة من العولمة في نهاية القرن العشرين، كما كان رصد لذلك وتنبّأ لمخاطرِهِ سوروكين في النّصف الأول من القرن الماضي، ما يدعو إلى إعادة النّظر في مقارباتنا السوسيولوجيّة للوقائع الإجتماعيّة والثقافيّة الرّاهنة. في الواقع، هناك تحدٍّ طرحهُ علينا سوروكين في تنبيهاتهِ حول الأدوار التربويّة والتوجيهيّة والتخطيطيّة على الأصعدة الإجتماعيّة المدنيّة والروحيّة، السياسية والدينيّة التي يُفترض القيام بها في زمانها ومكانها لتصحيح الديناميكيّات النِّزاعيّة داخل الثقافات وفيما بينها، وكان من الواجبِ علينا أن نرفعَهُ وأن نقومَ بالأدوار والتخطيطات والسياسات في إطاره لتحاشي النّزاعات الثقافيّة التي وقعنا فيها في عالمنا اليوم، ولكنّ الواقع النِّزاعيّ قد تجاوز الإرادة البحثيّة لدى سوروكين؛ وعلينا اليوم أن نعود إلى هذه الإرادة، إذا رغبنا في صياغة السلام من جديد لعالم الغد.

ثانيًا: إنّ الدراسة المعمّقة حول الوسائل التي يمكن اعتمادها اليوم لإعادة بناء الإتجاه التكامليّ بين التيّارات الثقافيّة المولِّدة للحضارات، كما أشار إلى ذلك سوروكين بالتعاون مع توينبي، أصبحت من الضرورات الملحّة من أجل إعادة بناء مسارات الحوار بين الحضارات في هذا الزمن المتقلِّب على أسس منهجيّة قابلة للتّصحيح الدائم إعتراضيًّا عبر التعميق المستمرّ للملاحظات والتحاليل البحثيّة.

ثالثًا: يؤكِّد المشاركون في هذه الندوة على دعمهم لمبادرة الأمين العامّ السابق لهيئة الأمم المتّحدة كوفي أنان، والتي



أطلق فيها دعوته لضرورة الحوار بين الحضارات، و لِلزوميّة ترسيخ فلسفة التنوّع و تدعيم التربية على بناء أواصر الإحترام والتحالف بين المنتمين إلى الثقافات المختلفة المكوِّنة لهذه الحضارات من خلال المعالجة الثقافيّة للصّدمات المظلمة التي أفسدت الرؤى الحضاريّة للثقافة الإنسانيّة عبر التاريخ.

رابعًا: إنّهُ لمن المفيد هنا أن نؤكِّد على الأزمات الخانقة التي تسبّبها القوى الممسِكة بالسُّلطة والمال من خلال سيطرتها على العلم والإعلام، هذه السيطرة التي تسعى من خلالها اليوم إلى تأجيج كلّ الطاقات الغريزيّة في النفس البشريّة، وإلى إيقاظ النزاعات الدمويّة بين الأديان والثقافات. إنّهُ لمن المفيد أيضًا أن نؤكِّد أنّ هذه الأزمات هي أزمات عُضويّة تخطّت كلّ التوقعات، أو بالأحرى التنبؤّات التي طرحها سوروكين، ليس لأنّهُ أخطأ في رؤيته للمستقبل، بل لأنّنا أخطأنا نحن في تعاملنا مع التاريخ، فكنّا أسوأ بكثير ممّا كان يتوقّع سوروكين، إذ إننّا عدنا إلى الوراء بينما كان يُتوقّع أن تكون هناك فرصة أمام البشريّة لتسيطر على التاريخ وتتقدّم باتجاه مصيرها الخاصّ الذي هو التفوّق على أنانيّتها، أي إنفتاح الواحد على الآخر، والثقافة على الأخرى.

وهكذا، يهمّنا أن نقول في نهاية هذه الندوة ومجدّدًا أنّ المشاركين فيها أصبحوا مُتيَقّنين مثل بيتيريم سوروكين أنّهُ أصبح من الضروريّ اليوم البحث عن بدائل في الرِّهانات الحضاريّة عن الرِّهان القائم، إذا أردنا خلاصًا حضاريًّا لعالمنا في المستقبل. بيتيريم سوروكين إختار الغيريّة والحبّ، فهل لنا أن نجاريه؟!

المشاركون في الندوة: أ. **سهيل مطر، وزير الإعلام د. طارق متري، رئيس الجامعة الأب د. وليد موسى، د.** أسعد **عيد، السفير الروسيّ بينيامين بوبوف، د. سهيل فرح، عبدو قاعي، د. شاهين غيث، د. سعود المولى، د. يوري يكوفيتس، د. بوريس كوزيك، د. مارينا لومونوسوفا، د. كارول كفوري، د. ألكسندر أغاييف، د. رمضان عبد اللطيبوف، الأب د. بولس وهبة.**

بيتر ألكسندروفيتش سوروكين
Pitirim Sorokin
السيرة الذاتيّة

١٨٨٩	ولادته في شمال روسيا.
١٩٠٦	يتخرّج من دار المعلّمين.
١٩١٧	محرّرًا في عدّة جرائد- الثورة الروسيّة- الانقلاب على القيصر.
١٩١٨	سكرتيرًا لرئيس وزراء روسيا.
١٩٢٢	نال الدكتوراه من جامعة سان بطرسبرغ- يقاوم ضدّ الشيوعيّين.
١٩٢٣	يُنفى من روسيا، بعد حكم بالإعدام.
١٩٢٤	ينتقل إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة.
١٩٢٥	يعمل أستاذًا في جامعة مينيسوتا.
١٩٣٠	يؤسّس أوّل قسم لعلم الاجتماع بجامعة هارفرد.
١٩٣٧	اختياره عضوًا في أكاديميّة العلوم الاجتماعيّة الأميركيّة.
	نشاط مكثّف في علم الاجتماع- انصراف إلى التعليم والتأليف.
١٩٦٨	وفاته في الولايات المتّحدة الأميركيّة.

أشهر مؤلّفاته

علم اجتماع الثورة، ١٩٢٥.

الديناميّات الاجتماعيّة والثقافيّة (أربعة مجلّدات)، ١٩٤١.

الزمان والمكان، ١٩٤٣.

المجتمع والثقافة والشخصيّة، ١٩٤٧.

النظريّات السوسيولوجيّة في عالم اليوم، ١٩٦٦.

أهمّ مميّزاته

- البحث في التفاعل الاجتماعيّ الثقافيّ من خلال ثلاثة مكوّنات:

. الشخصيّة، وهي موضوع التفاعل.

. المجتمع، وهو مجموعة الشخصيّات المتفاعلة.

. الثقافة، وهي مجموعة القيم والمعاني والمعايير.

- اتجاه مثاليّ يتجلّى في اهتمامه بتدرّج الأنساق (System) الثقافيّة الاجتماعيّة، وهي متعدّدة؛ أهمّها: اللغة، الفنون، الأخلاق، العلم، الدين.

- نظريّته الاجتماعيّة تقوم على أنّ التغيير في خط يبدأ مستقيمًا حتّى يصل إلى أقصاه، ثمّ يأخذ مسارًا مضادًّا (فكريّة > مثاليّة > حسيّة).

مباراة العرض والتقديم

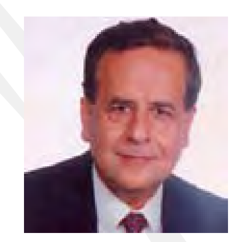


بتاريخ ١٢/١٠/٢٠١٢، وعلى عادته في كلّ سنة، أقام قسم العلوم السلوكيّة والاجتماعيّة، في جامعة سيّدة اللويزة، مباراة في العرض والتقديم بين الطلاّب، بإشراف لجنة تحكيم مؤلّفة من الأساتذة: د. منصور عيد رئيس قسم العلوم السلوكيّة والاجتماعيّة، د. جو عجمي رئيس قسم الإعلام، د. جميل دويهي، د. عصام حوراني. وقد فاز بالمرتبة الأولى الطالب إتيان حويّك، وبالمرتبة الثانية الطالبة يارا أسمر. والفائزان ينالان منحة دراسيّة قيمتها: حسم قسط مقرّرين جامعيّين. كما يرشّحان إلى المباراة السنويّة التي تقيمها مؤسّسة الفكر العربيّ بالتعاون مع جامعة بيروت العربيّة، بين الجامعات اللبنانيّة، تحت عنوان: العرض والتقديم.

ثلاث محاضرات للجنة الأبحاث
في كلّيّة العلوم الانسانيّة

أعدّ التقرير: د. جميل الدويهي

عقدت لجنة الأبحاث في كليَّة العلوم السلوكيَّة والاجتماعيَّة ندوتين نقاشيَّتين حول موضوعَي «استمراريَّة العادات والتقاليد في حياتنا المعاصِرة»، و«العلاقة بين الحياة الروحيَّة والحياة الماديَّة». حاضر في الموضوع الأوَّل الدكتور عصام حوراني، والدكتور كلوفيس كرم. وفي الموضوع الثاني الأب الدكتور بولس وهبه.



تناول **الدكتور حوراني** موضوع الأمثال في التراث والمعاصَرة، فقدَّم تعريفًا للتراث، وشدَّد على أهمِّيَّة المحافظة عليه، «وإعادة إحيائه في سلوك الناس وأعمالهم وطعامهم وملبسهم واحتفالاتهم وأغانيهم، وموسيقاهم...»، ثمَّ انتقل المُحاضِر إلى دراسة نماذج من الأمثال التي تشيع بين الناس في إطار الفضائل، فأكَّد على العلاقة الوطيدة التي تربط بين الأمثال وبُعدها الإنسانيِّ، وهذه العلاقة هي التي أعطت للأمثال قيمة إنسانيَّة وحضاريَّة، فـ«صارت على ألسنة الناس، تذكّرهم دومًا بقيَمهم ذات الأبعاد المختلِفة، من مثال التقشّف، والصبر على المكارِه، والصدَقات السرّيّة، وإجراء المصالحات، وحسم المنازعات، واحترام المُسِنّ، والتمسّك بالأخلاق، وغيرها وغيرها من الفضائل».

ولفت الدكتور حوراني إلى أنَّ الأمثال «مظهر من مظاهر الحكمة، وأدب الناس المتوارَث؛ فهي ثابتة، ومضمونها لا يتبدّل مع تغيّر الأزمنة، لأنّها محمَّلة بمشاعر الناس، ودوافعهم، وأفعالهم، وما فيها من خير وشرّ، من فضيلة ورذيلة، من فرح وألم، وكلّها أمور ثابتة لا تتغيّر كثيرًا لدى الناس». كما أشار إلى قِيمة الأمثال العامِّيَّة اللبنانيَّة، وما تنطوي عليه من عادات وأخلاق، فهي «مرآة صادقة للشخصيّة السويّة المنطلِقة من بعيد، والمندفعة نحو آفاق أرحب في عالم الحاضر والمستقبل. من أجل هذا كان للبحث في أمرها أهمّيّة بالغة، ولاسيَّما في عصر العولمة هذا، حيث السعي قائم من أجل ابتلاع التراث والشّخصيّة الذاتيّة المميّزة».

وختم الدكتور حوراني محاضرته بالإشارة إلى أنَّ التراث كان دستور الناس الأقدمين، فمنه كانوا يستمدّون علومهم، ومعتقداتهم، وقوانينهم، وفيه كانوا يجدون سعادتهم، ومتعتهم، وقد ضاع جزء من هذا التراث في عالم النسيان، ولا يزال بعضه الآخر عائشًا مع النّاس في مناطق معيّنة، فالمطلوب أن نحافظ على ما تبقّى من هذه الثروة المهمَّة.



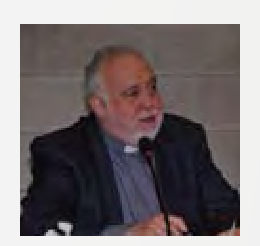
أمَّا **الدكتور كلوفيس كرم**، فتناول في محاضرته العادات والتقاليد الفينيقيّة واستمراريَّتها في عاداتنا وحياتنا الحاضرة، واستهلّ كلامه بالقول: «إنّ الإنسان الحديث اعتقد لفترة وجيزة أنَّ بإمكانه الانفصال عن ماضيه بسبب إغراءات عالمنا المتجدِّد دومًا، والانسلاخ عن محيطه عمدًا أو خلسة، لعدم تقديره لكنوز الأجداد ومأثورات الماضي السحيق».

وتطرَّق الدكتور كرم إلى العادات والتقاليد الفينيقيَّة المستمرَّة في عصرنا الحاضر، كالدبكة مثلاً، فأكَّد على استحالة الانسلاخ عن الماضي، بحيث يبقى الانسان، مهما بلغ به التقدُّم، في إطار تجديد الموروثات الإيجابيَّة. وشرح أنَّ الدوران في الدبكة يعود إلى العصر الفينيقيِّ، عندما كان الناس يدورون حول البيدر في أيَّام الزرع. ولم يستبعد المحاضر، بعد مُداخلة من المشاركين، أن تَكون للدبكة علاقة أيضًا بـ«حَدل» السطوح الترابيَّة، إذ كان الأقدمون يحدلون السطوح، ويضربون بأرجلهم على التراب ليصبح أكثر قساوة.

وبعد أن قدَّم الدكتور كرم مجموعة من الأمثلة عن أنواع التراث الفينيقيِّ التي ما تزال مستمرَّة في مجتمعنا اللبنانيِّ المعاصر، ختم بالتشديد على ضرورة



حفظ التراث، وانتقاله من جيل إلى آخر.



وفي موضوع «العلاقة بين الحياة الروحيَّة والحياة الماديَّة»، تحدَّث **الأب الدكتور بولس وهبه**، فتطرَّق إلى علاقة اللبنانيِّين المتميِّزة مع الحياة الروحيّة المسيحيّة، وأشار إلى الخصائص المتميِّزة للطوائف المسيحيّة في لبنان، ودورها الفاعل في ميادين التعليم والخدمات الاجتماعيّة. كما لفت إلى تناقص أعداد المسيحيّين لأسباب كثيرة أهمُّها الهجرة.

ثمَّ ركَّز الأب وهبة في محاضرته على العوامل التي تقرِّبُ الطوائف المسيحيّة «من حيث القيم الاجتماعيّة وأنماط التفكير والسلوك». وأهمُّ هذه العوامل التزاوج بين أبناء الطوائف، والحركة المسكونيّة، والحركة الديموغرافيّة، والمدارس المسيحيّة، ووسائل الإعلام كتلفزيون تيلي لوميار وإذاعة «صوت المحبّة»، وكذلك شعور الأقلّيّات.

وعدّد الأب وهبه القيم الروحيّة المسيحيّة الأساسيّة، وهي المحبّة، والتواضع، والتسامح، والصبر، والمشاركة... إلخ. «وهذه القيم هي، أو ينبغي أن تكون، مرتبطة ومتجانسة مع ممارسة الشعائر الدينيّة، مثل الصلاة (الذهاب الى الكنيسة) والصوم». أمّا القيم الاجتماعيّة، فهي المبادئ التي توجّه السلوك الاجتماعيّ، أي «القيم التي اعتمدتها المجتمعات أو التجمّعات. هي تتشكّل مع مرور الوقت وتكون نتيجة للحياة اليوميّة، والاتِصال مع الخارج، والبيئة المكانيَّة، والتاريخ، والتعليم والدين. ويُنتج مجموع هذه العوامل ما نسمّيه الثقافة».

ورأى الأب وهبه أنَّ المسيحيّين في لبنان «يسعون جاهدين لكي يعيشوا إيمانهم، وهم ويأخذونه على محمل الجدّ في حياتهم اليوميّة ونظرتهم. فالأعداد الكبيرة من المسيحيّين الذين يرتادون الكنائس هي إشارة جزئيّة إلى هذا». وما هو صحيح بالنسبة إلى المسيحيّين صحيح أيضًا بالنسبة إلى المسلمين. كما أنَّ التفاعل بين المسلمين والمسيحيّين أدّى إلى تشكيل خصائص ثقافيّة مشتركة... وطالب الأب وهبة المسيحيّين في لبنان بالعمل جاهدين ليصبحوا مسيحيّين أفضل، وبهذه الطريقة يتخلّصون من أيّ خوف أو انعدام أمن.

وبعد انتهاء الأب وهبه من كلامه، جرى استطلاع مكتوب للطلاَّب الحاضرين، ركَّز على مجموعة من المحاور الأساسيَّة في حياتهم الروحيَّة والاجتماعيَّة. ودلَّ الاستطلاع على الجانب الروحيِّ المتميِّز في حياة الطلاَّب؛ ففي الأسئلة المتعلِّقة بوجود الله، أو بتعزيز دُور العبادة لحياتهم الروحيَّة، ظهر أنَّ الاغلبيَّة الكبيرة من الطلاّب تؤمن بوجود الخالق بغير الحاجة إلى دليل علميٍّ، كما تعتقد بأنَّ لبيوتِ العبادة دَورًا في تعزيز الحياة الروحيَّة لدى الشباب. وقد جاءت نتيجة الاستطلاع على الشكل الآتي:

١. هل تشارك في الحياة الروحيَّة؟ (نعم٥٢٪- لا ١٢٪- أحيانًا ٣٦٪)
٢. هل ترى أنّ الحياة الروحيّة مكمِّلة للحياة الاجتماعيّة؟ (نعم ٨٤٪- لا ١٢٪- أحيانًا ٤٪)
٣. هل ترى أنَّ الحياة الروحيّة تأخذ من وقتك الكثير؟ (نعم٤٪- لا ٩٢٪- أحيانًا ٤٪)
٤. هل تشعرك الحياة الروحيَّة بالضيق؟ (نعم ٪١٢- لا ٤٨٪- أحيانًا ٤٠ ٪)
٥. هل ترى في عمل الخير بديلاً عن الحياة الروحيَّة؟ (نعم ٢٠٪- لا ٤٠٪- أحيانًا ٤٠٪)
٦. هل ترى أنَّ العصر يتطلَّب حياة روحيّة؟ (نعم ٩٢٪- لا ٤٪- أحيانًا ٤٪)
٧. هل تشعرك الحياة الروحيَّة بالاطمئنان؟ (نعم ٧٦٪- لا ١٢٪- أحيانًا ١٢٪)
٨. هل يشجِّعك أحد على القيام بواجباتك الدينيَّة؟ (نعم ٤٤٪- لا ٢٤٪- أحيانًا ٣٢٪)
٩. هل تشجِّع أحدًا على القيام بواجباته الدينيَّة؟ (نعم ٤٠٪- لا ٢٨٪- أحيانًا ٣٢٪)
١٠. هل ترى أنَّ وجود الله حقيقة لا نقاش فيها؟ (نعم ٥٢٪- لا ٢٠٪- أحيانًا ١٢٪)
١١. هل تعزِّز دور العبادة حياتك الروحيَّة؟ (نعم ٦٤٪- لا ٢٨٪- أحيانًا ٨٪)
١٢. هل تعطيك الكتب المقدَّسة الحقائق التي تبحث عنها؟ (نعم ٤٨٪- لا ٢٠٪- أحيانًا ٣٢٪)
١٣. هل تقبل العيش في مجتمع غير مؤمن؟ (نعم ٢٠٪- لا ٦٠٪- أحيانًا ٢٠٪)
١٤. هل تعتبر نفسك مقصِّرًا في تطبيق إيمانِك؟ (نعم ٣٢٪- لا ٨٪- أحيانًا ٦٠٪).

المطران عبدالله قراعلي مؤسّس الحياة الرهبانيّة في لبنان على باب الجامعة قدوةً ومثالاً



في عيد أبي الرهبان، القدّيس أنطونيوس، وكان اليومُ الثلاثاءَ في ٢٠١١/١٢/١٨، احتفت الجامعة برفع بطريرك الموارنة، الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، الستارةَ عن تمثالٍ للمطران عبدالله قراعلي، مؤسّسِ الحياة الرهبانيّة في لبنان؛ وهو من أعمال الفنّان مكرتيش مازمانيان. كان ذلك، في حضور السفير البابويّ المونسنيور غبريال كاتشا، ولفيفٍ من الرهبانيّة المارونيّة المريميّة يحيطون برئيسهم العامّ الأباتي سمعان أبو عبده، ووجوهٍ دينيّة وسياسيّة وعسكريّة، وأهلِ الجامعة.

قدّم للاحتفال **الأستاذ سهيل مطر** بنبذةٍ عن حياة قراعلي.
وذكّر **الأب الرئيس وليد موسى** بالشعار الذي رفعه قراعلي منذ أكثر من ثلاثمئة سنة:

العظيم في النعيم مَن عاشَ ما بين عملٍ وتعليم

قائلاً: وهذا ما نردّده اليوم، مبتهلين إلى القدّيس أنطونيوس الكبير، مؤكّدين أنّ العمقَ الرهبانيّ يقوم على دعامتين: العمل والتعليم؛ ومضيفًا: ونأمل أن نكون هكذا في هذه الجامعة: نعمل ونعلّم...

ثمّ رحّب بصاحب الغبطة قائلاً: أرحّب بكم بمحبّة. وتسعون سنة على كتفيك، لكأنّها الصليب؛ حملتها بجدارة، بإيمان، بكرامة. نحن نتطلّع إليك وإلى بكركي، كما تطلّع قراعلي إلى البطريرك الدويهي. ومن عظيم إلى عظيم، تنتقل المارونيّة وتبقى، ولو على جراح وقلق، علامةً مميّزةً فاعلةً في تاريخ لبنان، وسببًا لوجوده وديمومته.

وتوجّه إلى السفير البابويّ بالقول: حضورك بيننا رمز لعلاقة مستمرّة مع الفاتيكان. نحن، في مارونيّتنا وكاثوليكيّتنا، نستوحي تعاليم الحبر الأعظم. لقد وُلدت جامعتنا مع تسلّم الحبر الأعظم يوحنّا بولس الثاني مقاليد البابويّة، وهي تتابع نموّها وتطوّرها مع قداسة بنديكتوس السادس عسر. وإيماننا شديدٌ أنّنا، ببركتكم، وبالحضور الانسانيّ الروحانيّ الكبير الذي تنعمون به، وبثقافتكم المتعدّدة الاتجاهات، نستطيع أن نستكمل الدور والرسالة، لما فيه خير الانسان في لبنان والمنطقة.

وخاطب الرئيس العامّ: منذ أكثر من خمس سنوات، وأنت تمنح هذه الجامعة، بصلواتك ونشاطك، كلّ محبّة ومساعدة. نحن، الرهبان والأساتذة والموظّفين والطلاّب، لم ولن تميّز يومًا بين الجامعة والرهبانيّة؛ فهما روح واحدة، لا تجمعنا الأرض فقط، بل التراث الرهبانيّ الذي يحمل ذخيرة أكثر من ثلاثماية سنة، أودعها القراعلي وزميلاه جبرايل حوّا ويوسف البتن هذه الأرضَ، ونفوسَ أبناء رهبانيّتنا...

وانتهى إلى القول: من حلب حيث ولد إلى زوق مصبح حيث استقرّ، مسيرةُ عمر وشهادةُ حياة. نحن بوضعنا هذا التمثال على باب جامعتنا، استكمالاً لتماثيل عظماء كبار، ومقدّمةً لتماثيل جدد، من بينها البطريرك العظيم اسطفان الدويهي والرجل العلاّمة جرمانوس فرحات، فإنّنا نكرّم زوق مصبح ورهبانيّتنا معًا، ونؤكّد أنّ تراثنا المارونيّ هو من القوّة والمناعة، بحيث لا خوف على لبنان، فلن تقوى عليه لا قوى الإرهاب ولا أهل التخلّف والظلام والموت.



السفير البابويّ **المونسنيور كاتشا** عبّر عن سعادته لمشاركته في مناسبة تكريم قراعلي، رجل الله: المؤسّس، والمجدّد، والمطران، والقاضي، والمشرِّع. وقال: أَن نتذكّر اليوم هذا الرجل العظيم ونقدّمَه لانتباه الجسم التعليميّ والطلاّب الذي يؤمّون هذه الجامعة، فهذا يعني لا تكريمَ شخصيّةٍ أساسيّة في تاريخ بلاد الأرز، ولكن في الوقت نفسه تقديمَ مثالٍ للشبيبة، في بحثهم عن الحقيقة والمطلق والحبّ، وبكلامٍ آخرَ في بحثهم عن الإله الحيّ.





أمّا صاحبُ الرعاية البطريرك صفير فكانت له الكلمةُ الجامعةُ في المحتفى بذكراه، وهي:

لقد دعينا إلى الحديث اليوم عن المطران عبدالله قراعلي، مؤسّس الحياة الرهبانيّة في لبنان. وما من شكّ في أنّ حياته ملأى بالعبر والعظات. كان قد بلغ الثامنة عشرة من سنّه عندما شعر بأنّ الله يدعوه إلى الحياة الرهبانيّة. وكان والده يعدّه ليكون على مثاله تاجرًا. فسافر إلى لبنان الذي كان موطنًا للرهبان والمتوحّدين. ولكنّ والده لم يكن ليوافقه على ما كان يريد. وأكبّ على الدرس ومطالعة الكتب المقدّسة وسير القدّيسين. وأصيب بمرض أوصله إلى حافّة القبر. ورأى آنذاك أنّ الرهبانيّة هي الطريق الذي يوصله إلى السعادة، فصمّم على هجر الأهل والوطن والسفر إلى لبنان لتحقيق دعوته. ولكنّه تمهّل ثلاث سنوات، درس في خلالها الفلسفة واللاهوت والشرع على الخوري بطرس التولاوي.

ولاحظ يومًا لدى رفيقه جبرائيل حوّا ميلاً إلى الحياة الرهبانيّة؛ وكان يكبره بأربع سنوات. فقرّر الاثنان استئذانَ الأهل وتذليلَ الصعوبات لتحقيق مقصدهما. فاستأذن جبرائيل والده بالسفر إلى لبنان بحجّة التجارة، أمّا عبدالله فقد مانعه والداه من الذهاب إلى لبنان بحجّة ضعف صحّته، لكنّه ألحّ عليهما للذهاب إلى الأراضي المقدّسة حاجًّا.

وسافر جبرائيل حوّا، وتبعه عبدالله يرافقه يوسف البتن، والتقى الثلاثة في زغرتا يوم عيد الجسد الإلهيّ. صعدوا إلى الكرسيّ البطريركيّ في وادي قنّوبين، وعرضوا رغبتهم على البطريرك اسطفانس الدويهي. فأجابهم البطريرك: «أنتم أناس تنعّم ولا طاقة لكم بعيش الجبال القشف. ولا تحتملون الحروب التي كانت دائرة في لبنان. وأنتم عاجزون عن الفلاحة والزراعة، والرهبان يعيشون عيش الشظف». ولكنّهم أصرّوا على دخول الرهبانيّة، وكانوا يريدون إعداد قانون للرهبانيّة مستوحى من رسوم الأبوين أنطونيوس وباسيليوس، وإنشاء رهبانيّة جديدة. وانعطف البطريرك إلى مطلبهم، شرط أن يختبروا أوّلاً بأنفسهم طريقة عيش الرهبان، ويختاروا الدير الذي يلازمهم.

وفضّل حوّا البقاء في قنّوبين، فيما لبّى قراعلي ويوسف البتن دعوة المطران جبرائيل البلوزاني، أسقف حلب، ومنشئ دير سيّدة طاميش، فذهبا إليه لكي يختبرا طريقة عيش رهبانه. وعنده مكثا ثلاثة أشهر، فوجدا أنّ طريقة عيشهم هي طريقة عيش رهبان البلاد، الذين لا ينذرون النذر الرهبانيّ، لكنّهم يلبسون الزيّ الرهبانيّ. وقد كان المطارنة يُلبسون الرهبانَ الأسكيم، لا رؤساءُ الأديار. والأديار كانت تحت سلطة الأساقفة، ومنفصلة تمامًا بعضها عن بعض. وكان التزام الرهبان بنذورات الرهبانيّة في شكل تسليم من غير إقرار النيّة. وكان يرأسهم الرئيس بغياب المطران، والذي يسمّونه: القسّ. ولم يكن هناك مدّة محدّدة لتجربة المبتدئين، ولا سجدات للرؤساء، ولا قوانين للتأديب الرهبانيّ. وكانت الأديار مختلطة بين رهبان وراهبات. لكنّ الراهبات يسكنّ ديرًا إلى جانب دير الرهبان. الكنيسة مشتركة. والإدارة المطبخيّة والغسيل والخياطة للراهبات. وفي أواخر سنة ١٦٩٤، صار في بلاد الجبّة خوف من الحكّام، فخرج البطريرك الدويهي من قنّوبين وجال في بلاد البترون وجبيل، يزور القرى، ورافقه عبدالله وجبرائيل. وبعد انضمام البتن إليهم، استقرّ رأيهم في أيلول سنة ١٦٩٥ بأن يسكنوا دير مارت مورا في إهدن، نزولاً عند رغبة البطريرك الدويهي؛ وكان الدير مهدومًا، فشرعوا في إعادة بنائه.

تأسيس الرهبانيّة

سام البطريرك الدويهي جبرائيل حوّا وعبدالله قراعلي شمّاسين إنجيليّين. وسام في اليوم التالي حوّا وحده كاهنًا بحضور أهله الذين أتوا من حلب. وألبسهم الأسكيم الرهبانيّ. واجتمعوا وأقاموا حوّا رئيسًا عليهم. وكانت يومذاك نواة الرهبانيّة الحلبيّة. وفي ربيع السنة التالية، قبلت الرهبانيّة الجديدة من أهالي





بشرّي دير مار ليشع في الوادي المقدّس. فنقل إليه الرئيس حوّا بعضًا من الرهبان الجدد مع الشمّاس البتن، الذي كان رئيسًا عليهم. ووكّل دير مارت مورا إلى قراعلي الذي أصبح كاهنًا. فكان يعلّم أولاد البلدة أصول الكتابة والقراءة والتعليم المسيحيّ قرب الدير تحت شجرة جوز. وفي الشتاء كان الأستاذ والتلاميذ ينزلون إلى زغرتا ويعلّمون في مدرسة مار يوسف. وهناك أقام لاحقًا فرحات للغاية نفسها.

وانتقل الأب قراعلي إلى دير مار ليشع سنة ١٦٩٧ مع حوّا ليعدّا قانون الرهبانيّة. وقرّرا إقامة أربعة مدبّرين مع الرئيس العامّ، ليشتركوا في تدبير شؤون الرهبانيّة. وكانت مدّة الرئاسة ثلاث سنوات. وثبّت القسّ جبرائيل حوّا في الرئاسة العامّة، يعاونه أربعة مدبّرين. وعيّن الأب عبدالله رئيسًا على دير مار ليشع. ونشب خلاف بين الأب عبدالله ومعه غالبيّة الرهبان، وبين الأب جبرائيل الرئيس العامّ، على معنى سيرة الرهبانيّة. فالرئيس العامّ حوّا يريد الرهبانيّة للوعظ والتبشير ورئاستها مؤيّدة مثل الآباء اليسوعيّين، والأب عبدالله وأغلبيّة الرهبان يريدونها نسكيّة تأمّليّة لا تتعاطى أعمال الرسالة. وتعاظم التوتّر وكادت تتفكّك أوصال الرهبانيّة. ونحّي الأب حوّا عن الرئاسة العامّة، وأسندت إلى الأب عبدالله في مجمع عامّ انعقد سنة ١٧٠٠.

وانقسمت الرهبانيّة بين حوّا وقراعلي. وبقي هذا الأخير في دير مار ليشع، فيما ذهب الآخر إلى دير مارت مورا. وحصل الأب العامّ قراعلي على تثبيت القوانين في ١٨ حزيران سنة ١٧٠٠، وكانت في خمسة عشر بابًا، وكان عدد الرهبان اثني عشر راهبًا.

انتشار الرهبانيّة الجديدة

وأقبل الشبّان من كلّ صوب على الرهبانيّة من لبنان وخارجه. وشيّدت أديار جديدة في بشرّي ورشميّا وزوق مصبح وروما وكريم التين. وكان الرئيس العامّ يشرف بذاته على قيام الأديرة الجديدة، وقد جمع إحسانات كثيرة، خاصّة من حلب التي كان فيها أهله وذووه. وكان كلّما ضمّ ديرًا جديدًا، طلب من الرهبان إصلاح الأراضي الموقوفة عليه، فكان يسلّم الشركاء الأراضي التي لا يستطيع الرهبان حراثتها واستثمارها. أصبح لدى الرهبانيّة، عدا عن المزارعين، من يجيدون الطهي والبناء وصناعة الخبز والتبليط والنجارة والحدادة والسنكرة، وكانت هناك مشاغل للحياكة والتطريز والصباغة والخياطة والسكافة والطبّ والجراحة والنقش والتصوير، ناهيك عن تجليد الكتب البيعيّة والمدرسيّة. وكان الرهبان يقيمون بأيديهم الجسور والعبّارات على الأنهر القريبة من أديارهم، فضلاً عن تشييد الكنائس والأديار.

واقتدت رهبانيّات جديدة بالرهبانيّة المارونيّة الناشئة، من مثل الرهبانيّة الباسيليّة المعروفة قديمًا بالحنّاويّة، فأخذت فرائض الرهبانيّة اللبنانيّة، حتّى وضع لها اليسوعيّون رسومًا جديدة هي رسوم القدّيس فرنسيس سالوس؛ والرهبانيّة الأنطونيّة التي نشأت في دير مار شعيا سنة ١٧٠٥؛ والرهبانيّة الأرمنيّة التي مكث مؤسّساها عشر سنوات في دير قزحيّا، وانطلقت من دير الكريم في غوسطا، وانتقلت لاحقًا إلى دير بزمّار، ثمّ إلى دير مار أنطونيوس خِشْبَو في غزير؛ والرهبانيّة الكلدانيّة، وقد جاء مؤسّسها من الموصل إلى دير مار ليشع حيث عاش ثلاث سنوات وتمرّن على الحياة الرهبانيّة وعاد إلى بلاده سنة ١٨٠٣ ورمّم ديرًا قديمًا على اسم مار هرميزدا، فانضمّ إليه عدد وافر من شبّان بلاده.

سيرة الأب قراعلي

كتب الأب توما اللبودي سيرة حياته، وكان تلميذًا لقراعلي. وقد وصفه بقوله إنّ شكله لم يكن جميلاً. وكان طويل القامة. وكان معبّسًا عبوسَ الفرحِ والاحتشام. وكان متقشّفًا أقام لنفسه عرزالاً من غير فراش ينام عليه، وهو من عيدان الحطب والقش، وذلك طوال سنتين. وكان يصلّي ساعة ونصف بعد صلوات الفرض. وينام وهو جالس، حتّى منتصف الليل. لكنّه امتنع عن ذلك لاحقًا. وعندما كان الجرس يُقرع للصلاة كان يسبق الرهبان إلى الكنيسة. وبعد صلاة نصف الليل، كان الرهبان يعودون إلى قلاليهم، أمّا هو فكان يظلّ في الكنيسة للصلاة أمام المذبح





حتّى الصباح، إمّا جاثيًا، وإمّا واقفًا. وكان يمنع نفسه عن كلّ شيءٍ يتلذّذ به، فكان يأكل كلّ أربع وعشرين ساعة مرّة واحدة. ورفض تناول الأرزّ المطبوخ بالسمنة محتجًّا بكثرة دسمه. وكان يصوم يومين. وبلغ جسده من الضعف حتّى أنّه لم يقدر على رفع ثلاثة أرطال بيديه.

وكان يهتمّ بالتنشئة الروحيّة للمبتدئين، متّخذًا بعين الاعتبار مستوى كلّ منهم. وكان عصبيًّا عنيدًا برأيه، غير أنّه كان يتصرّف بوداعة، وكان يرجع عن خطئه إذا أخطأ. وكان ذا عقل ثاقب، فصيح اللسان، محبوبًا من الناس. وكان يهابه الجميع. وكان آل حماده يقدّرونه هو ورهبانه. وروى عنه الأب توما اللبودي أنّه كان يأوي العاطلين عن العمل وذوي العاهات؛ فالله الذي يقوتنا على المذابح يقوتنا ويقوتهم. وأرسل من يشتري لهم كسوة وأوجب على الرهبان أن يشركوا الفقير واليتيم في ما توفّر لهم من العيش. فعيّنَ في أغلب الأديار «منازيل» يأوي إليها الفقراء. وكان يتوارد على دير قزحيّا كثير من الممسوسين من كلّ الطوائف. وكان قد حتّم على كلّ دير أن يربّي ثلاثة أو أربعة أيتام. وكان الشيطان يهاب الأب قراعلي. وكان يصلّي على المرضى فيشفون.

وكان الرهبان ينذرون نذرًا رابعًا هو نذر التواضع، أي إنّهم لا يقبلون رئاسة. وقراعلي هو من أسمى الرهبانيّة اللبنانيّة. وقد تميّز بالحدس والبصيرة، ويقضي معظم لياليه بالصلاة، ويرقد وهو جالس، ولا يأكل إلاّ مرّة في النهار. وكان يعرف الأمور قبل وقوعها. وكان في طرابلس عندما أتاه من أخبره بسقوط صخرة ضخمة على دير مار أنطونيوس قزحيّا بسبب الأمطار، فقتل بعض الرهبان تحت الركام، ومن بينهم القسّ يوسف البتن، وأخر آخر.

وكان في دير قزحيّا محبسة ولا تزال. وقد تنسّك فيها القسّ جبرائيل فرحات. وكان قراعلي يرغب أيضًا في التنسّك، ولكنّ القرعة دلّت على أنّه الرئيس الوحيد الذي يصلح للرهبانيّة ما دام على قيد الحياة. وأصبح بعدئذ أسقفًا على أبرشيّة بيروت سنة ١٧١٦، فأقيم القسّ فرحات رئيسًا عامًّا على الرهبانيّة، ورعى أبرشيّته بغيرةٍ كبيرة. وأثبتت روما قوانين الرهبانيّة بعد أخذ وردّ. وأخيرًا قاسى ما قاساه من تهم باطلة، فسجن ثلاثين يومًا من قبل أمير الدروز، فاستنكر الأساقفة والشعب التعدّي عليه هم وقنصل فرنسا فبرّأت روما ساحته وانتصرت فضيلته.



.. وارتقى له وجهٌ على منارة: أنطوان شويري



بعد سنةٍ على عبور أنطوان شويري إلى الأبد، أي ظُهرَ الخميس في ٢٠١١/٣/٣، ووسْطَ كبارٍ من بلادِ الأرز أعطَوا وأغنَوا.. وكَنزتْ جامعةُ سيِّدة اللويزة منهم وجوهًا توحي وتشير، ارتقى له وجهٌ على منارة، أبدعه إزميل الفنّان رودي رحمه!

المحبّون كانوا كثرًا، وقد تجلّلوا بفرحِ عودةِ الغائب، ليس فيلم وثائقيٍّ وكلماتٍ شهاداتٍ وترنيمةٍ.. ومنحوتةٍ فحسب، بل وبدموعِ الشوقِ ووليمةِ كأسِ الرّحمةِ أيضًا!.. ولعلّهم، وهم يمرّون بما مَنحَ من معدّاتٍ وتجهيزاتٍ للأستوديوهاتِ السمعيّةِ- البصريّة، أَصغوا إلى رجع صوته يتردّد قائلاً للطلاّب، على ما قال رئيس الجامعة **الأب وليد موسى** مذكِّرًا:

«لقد حقّقنا بعضَ طموحاتِنا وجسّدنا بعضَ أحلامنا، وأفسحنا لكم في طريق العمل والنجاح. الكرة في ملعبكم. ماذا ستفعلون، وكيف، لتحقيق أحلامكم؟ إنّه التحدّي الذي يجب أن يكون طريقًا للانتصار على المصاعب...»

ومِمّا قاله الأب الرئيس: جامعتنا، خسرت بغيابه صديقًا كريمًا معطاء. إسمه محفور على بعض جدران الجامعة، ولاسيّما في مركز الدراسات السمعيّة والبصريّة. وأقدامه مرسومة على طرقات الجامعة ومدارجها. نحن عرفناه كبيرًا، تخرّج من مدرسة الإبداع، ومن جامعة الخبرة والتجربة والطموح، فإذا به يتجاوز حدود بشرّي إلى كلّ لبنان، وحدود لبنان إلى كلّ العالم. إنّه النموذج اللبنانيّ في المغامرة والنجاح، وهو المثال الذي نقدّمه اليوم لطلاّبنا لنقول لهم: مثلَ هذا الرجل، نريدكم...

لا تستسلموا لواقع مريض، لا تخافوا من السياسة ودهاليزها. لا تتكاسلوا وتيأسوا وتهجروا هذه الأرض. كونوا على ثقة أنّكم قادرون، بشجاعة قلوبكم، بشرارات عقولكم، بنبل أخلاقكم، أن تصلوا إلى تحقيق أحلامكم وطموحاتكم.

مجدُكم الكبير، أن تتجاوزوا الصعوبات والعراقيل، وتتابعوا الطريق إلى فوق. هكذا فعل أنطوان شويري، وهكذا عائلته تتابع اليوم، الطريق.

وكان نائب الرئيس للعلاقات العامّة والثقافة **الأستاذ سهيل مطر**، قال: منذ مئة سنة تقريبًا، أطلق رجل من بشرّي عبارة في نيويورك لا تزال خالدة: لو لم يكن لبنان وطني لاتّخذتُ لبنانَ وطني. هذا الرجل كان جبران.

بعد غيابه بسنوات سبع، سنة ١٩٣٨، ولد رجل آخر في بشرّي، حفظ عبارة جبران وراح يردّدها: لو لم يكن...

هذا الرجل هو أنطوان شويري. كلّ أمجاد العالم وأمواله ومظاهره لم تكن توازي جلسة له، على أرض لبنان، وفي ظلال أرزه الخالد.

من هذا الجرد العالي، الشامخ بفقره وعزّة النفس، على مشارف قنّوبين المقدّس، وفي غمرة العواصف والشقاء والتحدّي، انطلق أنطوان شويري، يحمل عروسة سكّر، ترافقه صلوات أمّه وأدعية أبيه وشفاعة مار سابا... وبدأت الحكاية:

مغامرة لا تقف عند حدود... وسطع نجمه، فإذا هو، في أيّ حقلٍ أو موقع، أميرٌ في الاندفاع والحماس والعطاء. أختصرها جميعها «بالنخوة الجبليّة» التي تستطيع بعرق الجبين، أن تقتلع الصخور وتزيل السدود.



وباسم الصداقة تكلّم **الأستاذ جوزف غصوب**: أنطوان شويري الصديقُ والأخُ والمعلّم، الرجلُ الكبير الذي قيل فيه الكثير، يبقى أكبرَ وأعظمَ من حدود الكلمات والتعبير. فهو من خاطبت نجاحاتُه العقولَ والقلوب، وعبَرَت إبداعاتُه المكانَ والزمان، وألهمت إنجازاتُه كلَّ الطامحين.

لقد عاش حياتَه يعمل، شاطرًا قلبَه الكبير بين حبّين: حبِّ عائلته الكبيرة، وحبِّ لبنان الوطن الذي عشقه وعمل ليكون منارةً للإبداع والتميّز.

بنى أجيالاً في جميع المجالات التي عمل فيها، رفعت، ولا تزال، اسم لبنان عاليًا في مختلف المحافل، وحمّلها أمانة الحفاظِ على









هذا الوطن الغالي والتكاتفِ لحمايته.

قلبه الكبير تدفّق كرمًا وطيبة، ويداه جادتا يمينًا وشمالاً.

إنّه رمزٌ للطيبة والأخلاق والثقة اللامتناهية بالنفس، ومثالٌ للرجل الذي يتحدّى الصعوبات برصانة وجديّة، ويجد الحلول للمشاكل مهما اشتدّت.

كانت أحلامُه كبيرة. ومهما بلغت حدودُها، فقد كان يحوّلها إلى حقيقة... إنّه رجل كبير وعظيم، تحوّلت أعمالُه دروسًا في النجاح في العالم العربيّ بأكمله، فإذا آلاف اللبنانيّين اليوم يستفيدون ممّا قام به وأنشأه في شتّى مجالات الإعلام والإعلان والرياضة والأعمال.



وأخيرًا، ألقى كلمةَ العائلة نجله **الأستاذ بيار شويري**، قال:

روزا... خَبْريني عَنْ بَيّي أنطوان!!

قَالِتلي... بَيّك... ما فيك تْقَدِّرْ الميزات والصِفات للي عِندو...

كان عِندو شي حِلو كثيرْ، دَوا بْيشفي الأَوْجاع...

هُوِّ الحُب للي ما إلو حْدود، وكان يُوصْفو لَكِلّ الناس...

الله كان بْقَلْبو... وهلَّق هُوِّ بِقَلْب الله...

سألتا: كان يْضَلّ يشتغِل كثير؟

قالِتلي: صَحْ... كان عِندو قِدْرَة يشتِغِل ٢٤ ساعة باليوم، بس ولا يوم عَجَبو إنّو يكون اليوم ٢٤ ساعة.

كَفِّت وهيِّ عَمْ تبْتِسِم:

كان فَوضَجي بالبيت، بَس كان مهندِس تِنظيم لِقطاع طويل وعَريض،

ما فيك تتصوَّر مدى قِدِرْتو عَالتَحَمُّل وعَلى حَلّ المشاكِل...

- كان إنسان المُعاناة، بَس بْحَياتَو مَا كان إنسان الهَنَّات والعَنَّات...

- كان عِنْدو أَخْصَام بالشِّغِل، وبَعد كِل مَعرَكِة بْيِرْبَحا بسَلِّمْ عَ خَصمو... وكتار مِنُّن كانو صْحابو، بَس ما حَدا مِنُّن كان عَدُوُّو...

- كان قَاسي... بَس عادِل...

- كان يْحَاسِب... بَس يِشْفَق...

سَألْتا: كان يَعْمِل رياضة؟

ضُحْكِت وقالَت:

لأ ما كان يَعْمِل رياضة...

بَس هُوِّ عِمِل الرياضة...

روحو كانت رِياضيّة...

عِمِل الرياضة وحِملا عَ كْتافو ومِشي فِيا لآخِر الدني، بَرَم فِيا شَرْق وغَرْب...

... بْتِسْكُت شْوَي... وبْتِتنَهَّدْ وبتقول:

في شي يا إبني أَهَمّ من كِل للي قِلتو، حِمْلو بْقَلبو لآخِر لَحظة، حِمِل لبنان وُقَضِيّتو،

شْتَغَل وتِعِب... وناضَل تيِحْمي لبنان... كِل لبنان...

إمّي... كِنْت إسمعَو أوقات عَم يَصَرِّخ ومعَصَّب!!!

جاوَبِت: حتّى هُوِّ وعَم يْصُرُخ، عيونو كانت تِبْتِسِم وقلبو يِضْحَك...






كان يِحِب كتير، ويكرَه قَليل...

إيه... كان يِكرَه الظُلُم، الكِبْرِيا، الجُوع، الفِقِر...

كان عَطول يْقول:

ما تقول كِلمِة «ما»

«ما» بقدِر... «ما» فِيّي... «ما» مُمكِن... «ما» بيصير... إلى آخر السلبيّات.

كان إيجابي، ونَظِرْتو صايبِة... وبيشوف قَبل الكِل...

ما كان يخَاف...

شو بَدّي إسأل بَعد؟

شو بَدّي أنا خَبّرَك يا بيار...

كان يِحب الالتزام...

بعَيلتو...

بيَلّي بيشتِغِل مَعُن... بأصحابو... بوَطنو... والأهَم بإيمانو...

إيمانو بقضيّتو... قضيّة الإنسان...

كان يقول: الانسان مش بس وجّ الله... هُوِّ قَلْب الله عَ الأرض...

- خَبّريني شو آخِر شي قَلّك ياه؟

- قلّي يا روزا... أَولِك بَعْد بْتِجي الأيّام وبَقْعُد أنا وِيّاكي بها لجْنَينة بعجَلتون.

- وشَغلي تانية يا إبني...

وَصّاني قِلّك إنو تكَفّي ع الطريق يلّي هُوّي بَلّش فِيا...

سَكِتِتْ روزا... وما عاد طِلع الحَكي مَعا...

غَصِّت... وبَلّشو دْموعا يِكرجوع وِج إنطَبَعت عليه قساوِة الزَمَن...

وَقْتا سَكَّرْت الألبوم ورجِعتْ للحاضِر وقِلْت:

يا إمّي تعي نِنسى الأحزان، ننسى الوَجَع والفراق...

هيك بيحِبْ يشوفنا، البَسْمِة مْنَوّرا وْجوهْنا...

وقد تعهّد الأستاذ بيار مسيرة والده، بإعلانه عن منحة جامعيّة لخمسة طلاّب تختارهم إدارة الجامعة باسم أنطوان شويري...

من حَصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

رحلة إلى دير القمر



في ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٠ ، لبّى العمل الرعويّ الجامعيّ دعوة المرشد العامّ الأب فادي بو شبل لقضاء نهار في بلدته دير القمر؛ فكانت زيارة إلى دير راهبات الصّليب حيث احتُفل بالقدّاس الإلهيّ، بعد عيادة المرضى والتعرّف إلى تاريخ الدير. وبعد الغداء في البيت الوالديّ، تمّت زيارة الصليب الذي بناه أبونا يعقوب في أعلى تلّة في دير القمر والمعروفة بـ «تلّة صور».

اللقاء السنويّ لشباب العمل الرّعويّ الجامعيّ

في ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٠، شارك حوالى ١٦ شخصًا من جامعتنا في اللقاء العامّ لشباب العمل الرعويّ الجامعيّ في قصر المؤتمرات- ضبيّة.

تمّ خلاله التعريف عن كيفيّة نشاط العمل الرعويّ في جامعة سيّدة اللّويزة، فبنى الشبيبة stand هو كناية عن محطّة إشارات سير، أُعطيَ معنىً روحيًا لكلّ واحدة منها بآيةٍ من الإنجيل.

حفلة البربارة

في ٣ كانون الأوّل ٢٠١٠، وبمناسبة عيد القدّيسة البربارة، أقام شباب العمل الرعويّ حفلة ترفيهيّة، بموضوع: Disco. شارك فيها ٥٦ شخصًا.

تضمّن البرنامج عرضًا تنكّريًا، وفيلمًا صغيرًا عن حياة القدّيسة بربارة، وعشاء وتسالي.

سهرة العذراء– شبابنا لكِ



نظّم العمل الرعويّ الجامعيّ، بمشاركة جماعة الصّلاة المريميّة podbordo، وللسنة الخامسة على التّوالي، سهرة صلاة مريميّة تكريمًا لوالدة الإله أمّنا مريم العذراء، بمناسبة عيد الحبل بلا دنس في ٨ كانون الأوّل ٢٠١٠، تحت عنوان «مريم ضياء شرقنا». كانت كلمة الإفتتاح للمرشد العامّ الأب فادي بو شبل المريميّ، تلتها صلاة للمسبحة مع تأمّلات، وتميّزت بحضور السيّدة ليال نعمة مطر والسيّد إيلي نعمة رافقهما على العزف السيّد مارك أبو نعّوم. تمّ خلال السّهرة عرض فيلم صغير مُصوّر عن الصعوبات التي تمرّ فيها كنائس الشرق. وقد قام تلفزيون تيلي لوميار بتصوير السّهرة التي حضرها حوالى ٤٠٠ شخص.

رياضة الميلاد



إستعدادًا لعيد الميلاد المجيد، نظّم العمل الرعويّ الجامعيّ رياضته الروحيّة الميلاديّة التي حملت عنوان: «هلمّوا نرى الكلمة» يومَي ١١ و١٢ كانون الأوّل ٢٠١٠ في دير أمّ الله— عجلتون. تضمّنت الرياضة مواضيع وحلقات حوار وسهرة روحيّة والقدّاس الإلهيّ.

ندوة مع سيادة المطران بشارة الراعي حول السينودس لأجل مسيحيّي الشّرق

ما هو دورنا في هذا الشّرق؟

هل يحقّ لنا أن نخاف؟

هل نحن حقّا أقليّة؟

أسئلة كثيرة يطرحها الشباب المسيحيّ كلّ يوم في لبنان وفي الشّرق الأوسط على أنفسهم وعلى الكنيسة التي إليها ينتمون. وهذه الأسئلة تحتاج كلّها إلى أجوبة مُقنعة وصادقة. ومن يستطيع أن يُجيب على أسئلة الشّباب أكثر من سيادة المطران بشارة الرّاعي، المعروف بجرأته وعلمه وإيمانه.

دعا العمل الرعويّ الجامعيّ NDU، بالإشتراك مع مكتب شؤون الطلاّب ومكتب العلاقات العامّة، وبدعم من الأب الرّئيس وليد موسى، إلى ندوة خاصّة مع سيادة المطران بشارة الرّاعي، للإطّلاع على المقرّرات الصّادرة عن السينودُس من أجل مسيحيّي الشّرق. فكان اللقاء في ١٣ كانون الأوّل ٢٠١٠ في قاعة الأصدقاء في حرم الجامعة، في حضور العمداء والأساتذة والطلاّب ولفيف من الكهنة.

وبعد كلمة التّرحيب التي ألقاها الأب فادي بو شبل المرشد العامّ للجامعة، إنقسم اللقاء إلى ثلاثة محاور:

أوّلاً: عرَضَ سيادته مفهوم السينودُس، وماهيّته وتوقيت إقامته ومفاعيله.

ثانيًا: تناول سيادته مُقرّرات السينودُس والبيان الصّادر عن آباء المجمع، مُنوّهًا بالصّعوبات التي يمرّ فيها المسيحيّون عامّةً في هذا الشّرق، على ضوء قراءة موضوعيّة لما يعيشه الشّرق الأوسط، والمسيحيّون فيه تحديدًا. وتكلّم عن الخلافات والحروب وتنامي الأصوليّات وإيديولوجيّة العنف والهجرة والتوتّر النفسيّ والروحيّ، فرأى «أنّ الشرق بحاجة للعودة إلى ثقافة الإنجيل». ثمّ دعا إلى الشّراكة والوحدة مع الكنائس الأخرى وإدراك الرسالة والهويّة لتأدية الشّهادة التي تُساهم في بناء الجسور مع الآخر.

ثالثًا: دار نقاشٌ مفتوح بين المُشاركين في النّدوة والمطران الرّاعي.

أخيرًا، كان الوعد لسيادته من الجامعة، من نائب الرّئيس للعلاقات العامّة للشؤون الثقافيّة، الأستاذ سُهيل مطر، بإكمال ما قد بدأنا به، لأنّ العطش إلى المعرفة كان كبيرًا، ولأنّ الوقت لم يسمح للجميع بالمُشاركة.

Charity Tree

أقام شباب العمل الرعويّ NDU «ستاند» الـ Charity Tree قرب شجرة ميلاد في كافيتيريا الجامعة من ٩ إلى ٢٠ كانون الأوّل، بجمع التبرّعات والهدايا لـ ٧٥ طفلاً تهتمّ بهم جمعيّة «Dame de Secours».

حفلة الأطفال



في ٢٢ كانون الأوّل ٢٠١٠، أقام العمل الرّعوي حفلة لـ ٧٥ طفلاً من جمعيّة «Dame de Secours» بدأ اللقاء بصلاة صغيرة وترانيم ميلاديّة في كنيسة الجامعة، ثمّ إنتقل الجميع إلى الـ exhibition hall حيث تمّ توزيع الهدايا على كلّ الأطفال بعد تناول العشاء المشترك. ثمّ رقص الجميع على أنغام الموسيقى الميلاديّة.

قدّاس الميلاد

في ٢٣ كانون الأوّل ٢٠١٠، إحتفلت عائلة الجامعة بقدّاس الميلاد، ترأسه الأب وليد موسى، وشارك عدد كبير من أندية الجامعة في تقديم النّوايا. وخلال القدّاس مثّل شباب من العمل الرّعويّ مشهد البشارة في الإنجيل.

حفلة العمّال



ضمن إحتفالات الميلاد أيضًا وتحديدًا في ٢٣ كانون الأوّل ٢٠١٠، أقام العمل الرّعويّ مع العمّال الأجانب في الجامعة، حفلة خاصّة، تضمّنت الرّقص والغناء وتوزيع الهدايا والضّيافة.

رحلة

نهار الجمعة ١١ شباط ٢٠١١، ولمناسبة اليوم العالميّ للمريض وعيد سيّدة لورد، قمنا برحلة صلاة ومُشاركة أخويّة. وكان البرنامج أوّلاً صلاة المسبحة والقدّاس الإلهيّ في مغارة سيّدة لورد في كنيسة الأيقونة العجائبيّة— الأشرفيّة التّابعة للآباء العازريّين، ثمّ زيارة جماعة «Mission de vie» في أنطلياس وتمضية حوالى ٣ ساعات مع المُسنّين في الجماعة، وقد استطعنا بمعونة الربّ أن نزرع الفرح على وجوههم.





الخوري باسم الراعي

خطاب تجديد «الثبات على الأمانة»

كان لافتًا في خطاب قدّاس التولية الذي ألقاه صاحب الغبطة البطريرك بشارة الراعي أنّه لم يعرض برنامجًا لعهد، كما هو منتظر عادة ممّن يتقلد منصبًا جديدًا. غير أنّ صاحب الغبطة فاجأ سامعيه بخطاب كان القسم الأكبر منه تذكيرًا بعهود تاريخيّة وثوابت درجت عليها البطريركيّة المارونيّة، كأنّه يضع عهده في سياق التاريخ أكثر من الحديث عن وعود المستقبل.

ما قام به البطريرك يبدو للبعض مُستغرَبًا لا بل مُحبِطًا، وللبعض الآخر أمرًا عاديًّا درجت الكنيسة على القيام به بالاستناد إلى ماضويّة للهرَب من تحديّات الحاضر وانتظارات المستقبل.

لكنّ التبصّر في إحجام صاحب الغبطة من وجهة نظر كنسية ومن خصوصيّة مارونيّة تجلعنا نقرأ الخطاب من منظور آخر. والحقيقة أنّ المؤسّسة الكنسيّة ليست كباقي المؤسّسات من حيث التأسيس والتركيب والأهداف. فالمؤسّسات عادة تحدّد أهدافًا تسعى إلى تحقيقها، تقيس عليها حظوظ استمراريّتها. وهي تحتاج لذلك إلى آليّاتِ عملٍ وخبرات وقوى. وأهمّ ما تحتاج إليه المؤسّسة أيضًا، هو الحفاظ على صورتها في قلب عالم الأعمال والسوق. ولهذا السبب تسعى جاهدة لتسويق أفكارها وإطلاق دعاية كافية ومشاريع ووعود. والأمر يتضخّم أكثر في عالم السياسة الذي يتحكّم به خطاب المستقبل المفتوح على الإمكانات المختلفة والوعود التي ينتظرها المؤيّدون والمواطنون.
ليس الأمر كذلك في المؤسّسة الكنسيّة المؤسّسة لا على إرادة أشخاص بل على نداء اتّباع: «توبوا وآمنوا، فقد اقترب ملكوت الله»، الذي يعني مباشرةً أنّ الكنيسة ليست غاية في حدّ ذاتها، بل هي في حال اتّباع وعودة دائمة إلى من دعاها، ولذلك وصفها المجمع الفاتيكانيّ بأنّها سرّ. فهي لا تمتلك مستقبلها، لأنّ مستقبلها في من يَدعوها. فالكنيسة تعيش مستقبل الله في التاريخ، وهي علامة على مجيء هذا المستقبل. لذلك يتأصّل خطاب الكنيسة عن مستقبلها في حركة الاتّباع والعودة الدائمة. وهذه الحركة مقياسها الأساسيّ جهد الكنيسة لتبقى أمينة لنداء سيّدها. فمستقبل الكنيسة مرهون إذًا بأمانتها، أي بإثبات مصداقيّتها في حمل وديعة الإيمان. وهو ليس في مجال الانتصارات بل في تفحُّص المصداقيّة.

هذه الأبعاد زيّنت خطاب صاحب الغبطة، الذي وضع نفسه في خطّ الأمانة أكثر منه في مجال الانتصارات والفوز على المستقبل بمنطق المؤسّسة البشريّة. وذلك كان واضحًا منذ اللحظة الأولى بعد انتخابه، إذ عقد كلمة الشكر الأولى على عطيّة الروح الذي يحقّق في التاريخ والكنيسة وعود الله. فهو أراد منذ اللحظة الأولى أن يضع عهده في خطّ الثبات على الأمانة لوعود الله في تاريخ الكنيسة المارونيّة.



والثبات على الأمانة يختصر وجدان الموارنة في وعيهم لذاتهم. فمنذ البداية وعى الموارنة دعوتهم إلى الأمانة، إذ جعلوا من تاريخهم شهادة لهذه الأمانة. والثبات على الأمانة له أوجه ثلاثة لديهم: أمانة للإيمان وأمانة لجبل لبنان (واليوم لبنان) والأمانة للعلاقة بالكنيسة الرومانيّة. وإذا عدنا إلى البطريرك الدويهي نجد أنّ الأمانة هي المحرّك الأساسيّ للتاريخ المارونيّ لديه. فهو يفسّر في كتابه «أصل الموارنة» أنّ البطريرك يوحنّا مارون خرج بالشعب المارونيّ من أرض سوريا إلى أرض لبنان كي لا يزّور أمانته للإيمان.

والقول إنّ الأمانة محرّك للتاريخ المارونيّ معناه أنّ الأمانة ليست حركة انغلاق على الذات أو حركة انكفاء، بل هي حركة في اتجاه جمع الذات في هويّة تعي أنّ لها مكانًا في التاريخ، حيث تتحوّل الأمانة للذات فعلاً يمتدّ خارج الذات. بهذا المعنى تصبح الأمانة روح الشعب المارونيّ أو ثقافته. فالموارنة لا يعودون إلى ذاتهم ليبقوا في حدودها، بل ليجدوا مكانهم في التاريخ. وربّما كان هذا معنى كتاب «تاريخ الأزمنة» لدى الدويهي، أنّ للموارنة زمنًا خاصًّا في تاريخ الأزمنة.

والبارز أيضًا لدى الدويهي ربطه بين الأمانة وشخص البطريرك، إذ جعله في مقدّمة الشعب يقود تاريخهم بثباته على الأمانة. فالبطريرك لدى الدويهي، كما يختصر ذلك المطران أنطون حميد- موراني في تأويله لكتابات الدويهي، هو «الذي يتقدّم على شعبه ويتكلّم عليه»، بمعنى أنّه متقدّم في الأمانة، ولذلك يستطيع أن يتكلّم عليه. فالبطريرك لدى الدويهي هو من يصنع التاريخ بالأمانة. وهذا التاريخ فاعل لأنّه تاريخ مصداقيّة لا تبنيها نصوص بل أفعال المتقدّم في شعبه. لذلك لا نرى الدويهي يتردّد، في كتابه «أصل الموارنة»، في القول إنّه جدير بالتصديق رئيسًا لشعبه، يقرّر لهذا التاريخ وللمسيرة التي يجب أن يسيرها هذا الشعب. فتاريخ شعب يقع لديه في دائرة الأفعال والأحداث، أو ما يسمّيه الدويهي «ممارسة الأشياء»، معيارًا لصدق حامل هذا التاريخ أو الأشياء المنقولة عن هذا التاريخ. وهذا الترابط بين الفعل والتاريخ لا يحدث لدى الدويهي إلاّ في شخص البطريرك. ولا يعني هذا أنّ البطريرك مُتسلّط على شعبه، بل هو من يقف في مقدّمة تاريخ هذا الشعب.

فالتاريخ المارونيّ لدى الدويهي يتحرّك إذًا بين الأصالة والرسالة اللتين تحرّكهما الأمانة. فالأمانة إذًا ليست تكرارًا لماضٍ، بل حركة دفع إلى صناعة التاريخ. وهذا ما يفسّر تطوّر التاريخ المارونيّ من ضمن حركة صعود متواصل عبر التاريخ. فالتاريخ لدى الموارنة ليس حركة تكرار، بل حركة انتقال وفعل تحقيق.

ما قلناه حتى الآن لا يخرج عن تأويلنا لنصّ خطاب البطريرك الراعي، لأنّه وضع ذاته في استمراريّة لهذا التاريخ عندما صرّح في موضوع برنامجه: «برنامجي امتداد لتاريخ أسلافي لثوابتهم الإيمانيّة والوطنيّة». وهذا ليس كلامًا ماضويًّا، بل في ضوء فلسفة التأويل يمكن القول إنّ الذات لا تصل إلى ذاته إلاّ في قلب تاريخ فعاليّة يعتمل في هذه الذات التي تريد أن تفتح لها طريق المستقبل. فبين الذات والوجود يتوسّط التقليد باعتباره مرتكزًا لفهم الذات لموقعها في قلب التاريخ. ذلك ما دفع صاحب الغبطة إلى سرد تاريخيّ لا ليؤصّل ذاته في قلب الخلافة البطريركيّة بل ليؤصّل حركته في امتداد معنى تاريخ شعبه وتماسكه في الثبات على الأمانة

منذ «الحدث المؤسّس في شخص القدّيس مارون وتلاميذه»، وعلى امتداد التاريخ حتّى البطريرك نصرالله صفير. وبدا واضحًا في سرده لمراحل التاريخ المختلفة أنّ تاريخ هذا الشعب مُتجسّد في حركة بطاركته الذين نقلوا هويّته من حيّز الخصوصية الجماعيّة إلى مجال الفعل التاريخيّ العامّ. فهؤلاء البطاركة راكموا تاريخًا هو من مجال الحدث التاريخيّ لا السرد التاريخيّ.

يطرح علينا ما تقدّم مجدّدًا السؤال: أليس ذلك استسلامًا لماضويّة مرّة أخرى؟ إنّ تعهُّد غبطته الثبات على الأمانة واستمرار الحلقة التواصليّة مع أسلافه لا يظهر الجديد في خطابه إلاّ إذا دخلنا خصوصيّة الشعار الذي اتّخذه: «شركة ومحبّة»، الذي يحيط الأمانة برؤية جديدة تروم إلى اعتبارها فعل تواصل، بما أنّها صارت إرثًا مشتركًا لا يضطلعون به وحدهم من دون الآخرين.
يتماشى ذلك مع توجّه حديث في الفكر العالميّ يعتبر أنّ أيّ عمل يخرج من يد من يقوم به أو أيّ خطاب لا يعد ملكًا لصاحبه بل لمن يتلقّاه. وهذا التلقّي هو تلقٍّ لمشروع عالم يدعونا إلى الإقامة فيه. والتلقّي عندما يدخل مجال العالم المعروض يصير تبنّيًا يرافقه توسّع مجالات الذات المتلقّية له. والتبنّي يعني أنّنا بلغنا مرحلة تبادل عميق يفسّر معنى الشركة، وهي هذا العالم المُتبادل بين الذاتيّات برباط عميق. وبروز هذا الرابط يعني أنّ الآخر والذات يستضيفان بعضهما بعضًا متخطّين مرحلة التسامح. فالذات تصير آخرَ من دون أن تتخلّى عن ذاته. أخال أنّنا في عمق معنى المحبّة التي هي استضافة الآخر جزءًا من الذات من دون حساسيّة.

أراد البطريرك أن يضمّن خطابه هذا البعد في تفسير الأمانة من ضمن رؤيته الجديدة لها، والتي استلهمها من تاريخ الأمانة لدى الموارنة. وبرز هذا المعنى في خطابه عندما تكلّم على خصوصيّة لبنان أنّه بلد الشركة والمحبّة، بمعنى أنّ تاريخه بلغ مرحلة تمازج الآفاق متجاوزًا الثنائيّة بوقوف طائفة إزاء أخرى. وذلك ما حاول صاحب الغبطة إيضاحه عندما ربط تكريس ٢٥ آذار مناسبة وطنيّة، معتبرًا إيّاها تأويلاً صريحًا لروح الميثاق الوطنيّ الذي جمع اللبنانيّين في دولة واحدة. فالميثاق بدا لديه أنّه فعل تواصل استطاع فيه الموارنة أن يُجسِّدوا فيه معنى الأمانة المارونيّة متخطّين ذاتهم وفاتحين حدود وجدانهم الذاتيّ على الآخرين لا لاستيعابهم أو اختصارهم بل لوعيهم أنّ الوجدان المارونيّ هو وجدان يتّسع للآخر من دون حساسية. فأمانتهم لا ينظرون إليها في الميثاق أنّها فعل ذاتيّ بل فعل مشترك، وهذا لا يلغي ذاتيّتهم بل يؤكّد عليها. وهكذا انتقل التاريخ الماروني من تاريخ «ملفًا»، كما وصف الدويهي جبل لبنان بأنّه ملفىً لطالبي الحريّة، إلى تاريخ ضيافة وتشارك. فالأرض المارونيّة لم تعد أرضهم، لكنّهم ظلّوا هم أرضًا تقف عليها الحريّة. فارتفعت ذاتهم من الانحصار في الجغرافيا إلى المدى الحضاريّ. فالمارونيّة هي حضارة قبل أن تكون جغرافيا. والموارنة لم يعودوا في حاجة إلى ضمانات ذاتيّة تنفصل عن الجامع المشترك مع الآخرين. والتاريخ المارونيّ يشير إلى أنّ هذا الأمر كان منذ القرار الجريء الذي أخذه الحويّك بتوسيع حدود لبنان. والملفت أنّه لم يستعمل يومًا كلمة «ضمّ أراضٍ جديدة إلى جبل لبنان"، بل «استعادة ما سُلِخ عن لبنان» بجغرافيّة متنوّعة على تلاوين ثقافيّة ودينيّة مختلفة. وكان في وعي الحويّك تجربة المتصرفيّة التي نجحت في إيجاد صيغة تآلف لحياة مشتركة، ظلّت في نظره مضمونًا صالحًا لاعتمادها روحًا للحياة الوطنيّة في لبنان الكبير. من هنا لم يجد البطريرك الجديد حرجًا في التأكيد الذي أطلقه في خصوص مجد لبنان، عندما قال صراحة إنّ مجد لبنان: «يُعطى له (للبطريرك) ولكنيسته بمقدار ما يلتزمان ببناء الشركة والشهادة للمحبّة. مجد لبنان ينتقص بالانغلاق على الذات والتقوقع. لكنّه ينمو ويعلو بالانفتاح على الآخر، على هذا الشرق وعلى العالم. بل يُعطى «المجد» للبنان وشعبه، إذا كنّا كلّنا للوطن، كما ننشد. فالوطن ليس لطائفة أو حزب أو فئة. ولن يحتكره أحد لأنّ في احتكار فئة له احتقارًا لنا جميعًا، وفقدانًا لهذا «المجد»، الذي عظمته في تنوّع عائلاته الروحيّة وغناها». وأضاف في موضوع العلاقة مع العالم العربيّ، مستوحيًا ذلك من الإرشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان»: «ذلك أنّ مصيرًا واحدًا يربط بين المسيحيّين والمسلمين في لبنان وسائر بلدان المنطقة، وثقافة خاصّة بنا جميعًا بنتها الحضارات المتنوّعة التي تعاقبت على أراضينا، وتراثًا مشتركًا أسهمنا كلّنا في تكوينه، ونعمل على تطويره الثقافيّ». والأوضح ما ختم به خطابه: «نلتقي كلّنا بواسطتك (العذراء مريم) في أخوّة شاملة».

فالشركة والمحبّة هما الصورة المتجلّية للأمانة لدى الموارنة على قاعدة التواصل كما أراد البطريرك. ذلك ما دفعني إلى وصف الخطاب بأنّه خطاب تجديد «الثابت على الأمانة».

جامعة كاثوليكيّة مريميّة رهبانيّة

الأب بطرس بو ناصيف
مدير فرع جامعة سيّدة اللويزة- دير القمر

حضور مريم في الأناجيل، نختبره من خلال صمتها المتأمّل الساجد للحقيقة. فمريم هي بحر من الجمال، وموسوعة للمعرفة الروحيّة، ونور لخطى الإنسان، وحكمة تعلّم البناء والنموّ والتطوّر، وخبرة تدخل في منطق التفاصيل، وتعزية ترافق درب الخلاص، ونجمة تهدي عند الصباح، ودمعة تتلألأ بالرجاء مع شمس المغيب. هي البكر التي فاقت الشمس والقمر. هي سلوى القلوب. هي أمّ الفداء. هي أطهر العباد. هي الأمل. هي التي تحتضن كلّ الجمال، هي التي تعجز كلّ الأفواه عن وصفها. ولكنّ أبهى ما هي؛ هي «الأم». لذلك سأحاول أن أتذوّق مع أبناء جامعتنا الأحبّاء، بعضًا من خبرة هذه الأمّ الحنون، متأمّلاً بمراحل حياتها؛ التي قد تساعدنا كموظّفين وأساتذة وطلاّب، بأن نعي بشكل أعمق وأفضل، رسالتنا وهويّة جامعتنا.
غايتي ممّا سأحاول كتابته هي: دعوة المعنيّين في جامعتنا إلى دراسة علميّة روحيّة، معمّقة، لحضور مريم في واقعنا اليوميّ؛ والتأكيد على مدى أهميّة تأثيرها، ودورها، ونُظُمِ حياتها، وإلهاماتها، وحكمتها، وتعليمها المكتوب بالعيش والأمانة. فحياة مريم ليست عواطف عابرة، إنّما خبرة عميقة وحقيقيّة، مبنيّة على واقع يمتدّ عبر التاريخ ليتّصل بخبرتنا اليوميّة. وهذه الدعوة إلى تأمّل حياة مريم، ليست سوى صدى لما يدور في قلوب الكثيرين في عائلتنا الجامعيّة، الذين يتمنّون بأن تصبح جامعتنا المريميّة «أسم على مسمّى»، فلا نبقى من هواة تسوّل المعارف والقوانين من هنا وهناك، مدركين بأنّنا نملك قانون المحبّة الإلهيّة، المتجلّي في خبرة مريم، والذي إذا طُبِّق لا بدّ من أن يكوّن هويّة مميّزة لجامعتنا، التي ستكون من خلاله صورة لأرقى وأهمّ جامعات العالم. فإدخال خبرة مريم في قانون وأسلوب العيش في جامعتنا، أصبح ضرورة حتميّة، وملحّة.
الويل لعائلة تتأمّل جمالات الآخرين وتحتقر جمالها، وويل لمجتمع يشتهي التبن وهو يجلس على أهراء القمح، وويل لصرح علميّ مسيحيّ مريميّ مثاله الأعلى: البرغماتيّون، والمتأنسنون، والمؤسّساتيون، والمتعلمنون، و«الأكريدتيشنيّون»، و«الأفلاطونيّون»، و«الفرويديّون»، و«الكاميّون» والعواطفيّون، والسياسيّون، والمستوزرون، والمتروحنون،... وهو لا يدرك كنوز الإنجيل، وهويّته المريميّة، ولا يقوم بإدخال خبرة مريم الإنسانيّة والروحيّة في واقعه اليوميّ بشكل عفويّ بديهيّ. فالحقيقة تؤكّد أنّ هويّة الجامعة مريميّة، وهذه الهويّة هي أساس تكوين الجامعة، وهي غاية كمالها وطموحها.

وإليكم بعض ما أحبّ قوله!

من قلب الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، خرجت جامعة سيّدة اللويزه تحمل تراث السنين التي مرّت. السنين التي عَصرت عناقيد الأفكار، وطحنت قمح الخبرات، وفتّتت صخور المستحيل، وحوّلت الورود بجمال أشواكها، عطوراً؛ ليكون للإنسان مكان، يستطيع فيه أن يحلم بالإنسان، الإنسان الذي يستريح على أدراج المعرفة، مصليًا صلاة الجمال، ويتألّق على نور الحقيقة متأمّلا سرّ الحياة.
تأسيس جامعة سيّدة اللويزة، أتى من خبرة التأمّل في ذهن خالق الجميع في الكتاب المقدّس. وتقوّى بالسجود للأسرار الإلهيّة، بنعمة الأسرار. وتجمّل بالحكمة الكنسيّة، من خلال سلطتها وتعاليمها. وتعطّر ببخور القلوب، التي سجدت في أديار الرهبانيّة المارونيّة عبر السنين؛ من وادي قنّوبين، حتّى جبل التجلّي في اللويزه.
ولا يزال هذا التأسيس، يتألّق بين الصليب والقيامة، في وجوه عاصرناها، وأحببناها، وقبلناها بورودها وأشواكها...







وشوك الورود هو حصنها، وحاميها، وسرّ جمالها. لذلك، لا خوف من صليب يجدّد رجاءه بالقيامة كلّ يوم.

لم يكن التأسيس يومًا هواية. ولم يكن عمل حفنة من تراب. كما أنّه لم يكن مغامرة عابرة. فكلّنا ندرك أنّها العناية الإلهيّة هي المؤسِّسة، والمدبّرة. وهي التي كتبت حقيقة الحاضر، والمستقبل المزدهر، الذي لا يتوقّف عند مصالح الأشخاص، ولا يموت بالأخطاء، ولا تخنقه الأشواك. فالجامعة كانت ولا تزال ابنةَ العناية الإلهيّة التي ألهمت بكتابة رسالة حضارتنا المريميّة، لخدمة الإنسان في وطن الرسالة.

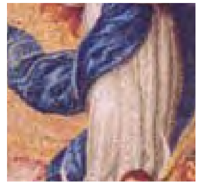
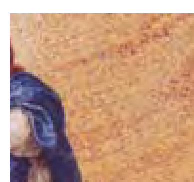
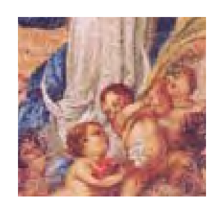
تأسيس جامعتنا يجب أن يتأمّل دائمًا غايته، ولا ينسى أبداً بدايته. فالبداية والغاية هما رسالة الجامعة وهدفها. لذلك من المفيد جدًّا أن نعود دائمًا إلى ينبوع التأسيس، مصدر وجودنا في هذا الصرح العلميّ. فالعيش في حالة تأسيس دائم يقوّي فينا روح التحدّي، والشجاعة، والعزم، والثقة بالمستقبل. وهذه الشرارة التي أطلقت التأسيس، كانت نتيجة عوامل تأمّليّة وفكريّة وعاطفيّة وإنسانيّة، انتفضت في أذهان بشريّة حرّكها روح الله، الذي يكتب المستقبل في أذهان أبناء النور. من هذا المنطلق أصبح ضروريًّا وواجبًا يوميًّا الإرتواءُ من الأفكار الروحيّة، والإنسانيّة، والعلميّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، التي حفّزت المؤسّسين لبناء جامعتنا المريميّة.

هذا، إضافةً إلى تفعيل الهدف الذي طمحت إليه الجامعة منذ لحظة تأسيسها وهو بناء: «جامعة مريميّة، كاثوليكيّة، رهبانيّة، لبنانيّة». وهذا الهدف لا يتغيّر مع السنين والأشخاص، إنّما يتبلور وينضج، لأنّ الأهداف الإنسانيّة الإيجابيّة يكتبها الله وحده.

على ضوء هذه المبادئ نفهم بأنّ لكلّ تأسيس هدفًا، فإذا ضاع الهدف، تزعزعت أسس التأسيس، وضلّت مبادئ الإستمرار. وبين التأسيس الذي يجب أن نستلهمه كلّ لحظة، والغاية التي لأجلها وجدت جامعتنا، يجب أن لا ننسى أبدًا «ضمانة الهويّة» التي تعطي القيمة لمن أسّس، والتقدير لمن تعب، والحافز لمن يكدّ ويعمل، والأمل لمن ينتظر. و«ضمانة الهويّة» هذه نعرّف بها «بالخبرة المريميّة» التي تحرّك ديناميكيّة الحياة في قلب عائلتنا الجامعيّة.

من هنا علينا أن لا ننسى أبداً أنّ هويّة جامعتنا تبقى مريميّة، تحمل اسم مريم: الأمّ والمعلّمة، التلميذة والمربّية، الساهرة والمتأمّلة، الممتلئة نعمة والمتألّمة، المستعدّة في كلّ لحظة لخدمة الإنسان، ايّ إنسان في كلّ زمان ومكان، لأيّ شكل، أو لون، أو فكر، أو مجتمع انتمى (راجع أعمال الرسل ١/ ١٤).

وجود جامعتنا أوّلاً كفكرة، ثمّ وضعها في الواقع لتكون حاضرة بين الجامعات ككيان وهويّة، واستمراريّتها رغم كلّ آلامها وضعفها، وإطلالتها المميزة في مجتمعنا اللبنانيّ، كلّ هذا يعود بنا إلى أنّها بحماية «سيّدة اللويزه». وكلّ عمل تنتجه

الجامعة، هو بفضل مريم. وكلّ تخطٍّ لمحنة، هو بسهرها الوالديّ. وكلّ أمل يلوح في الأفق، يطلّ علينا من وهج وجهها الأموميّ الحنون. فنحن جميعًا في الجامعة؛ من وهج خبرة مريم، في قلب مريم، تمجيدًا لاسم مريم.

ولكن!!!

من خبرتي القصيرة في الجامعة، عرفت ثلاثة أنواع من الطلاّب، والموظّفين، والأساتذة:

النوع الأوّل: هو الذي يظنّ أنّ تعبير «**سيّدة اللويزة**»، لا يتعدّى كونه إسمًا لتلك المرأة التي تبرّعت بمالها لبناء الجامعة؛ فانضوت الجامعة تحت اسمها كعرفان لجميلها.

أو أنّ «**سيّدة اللويزه**» هو إسم لسيّدة، كانت تعيش في الماضي في زوق مصبح، وكانت تملك كثيرا من حقول اللوز، فسمّيت «**سيّدة اللوزة**»، ومع الوقت تحوّل الإسم ليصبح «سيّدة اللويزه».

وهناك من يظنّ أيضًا بأنّ سيّدة اللويزة، هي أمّ يسوع الملك، الذي حكم منطقة كسروان إلى جانب طانيوس شاهين.

تعدّدت القراءات عند هذا النوع من الأشخاص، ولكنّ الثابت هو عدم رغبتهم الكيانيّة بالتعرّف إلى سيّدة البيت. لأنّهم يعشقون الأسماء بلا مضمون، والمضمون بلا تاريخ. فسيّدة اللويزه بالنسبة لهم، هي مجرّد اسم للحلم التعليميّ، أو العلميّ، الذي طالما سعوا إليه؛ من أجل البحبوحة الماليّة، والمجالس الدسمة، والأسماء العظيمة، والمنابر الفضفاضة.. بمعنى آخر لا يهمّهم من الجامعة هويّتها، أو غاية تأسيسها، إنّما المهمّ هو كتابة تاريخهم الخاصّ ولو على صليب المخلّص، أو على دموع الأمّ الواقفة تحته. وهذا النوع هم القلّة في الجامعة.

النوع الثاني: هم الأشخاص الذين يدركون أمومة مريم للجامعة، ويعلمون أنّها السيّدة، ويصلّون عند قدميها، ويستشفعون حضورها. ولكنّ رياح المادّة تعصف بأذهانهم، والسلطة تدغدغ أعماقهم، والعالم يستهوي أحلامهم. يعيشون في ربيع دائم لا شمس فيه، ولا برودة. يغنّون ألحانًا تطرب لها آذان الإدارة، ويرسمون الألوان التي تعكس شعور المسؤولين وأحاسيسهم، ويزرعون أشجارًا تقي من حرّ الصيف، وهي «صينيّة الصنع» لا جذور لها. وهذا النوع هم قلّة في الجامعة، وهم يجسّدون مبدأ «إقرأ تفرح، جرّب تحزن». والحقيقة ليست أفكارًا جافّة، مجرّدة، متكابرة؛ بل هي واقع الحياة، وقيمة الأفكار، ومنبع السعادة.

النوع الثالث: هم الذين يسجدون بحكمة أمام سرّ مريم الحبيبة. ويتمرّون كلّ يوم بمرآة جمالها. ويعلمون أنّ الإقتداء بها واجب مقدّس. وهم الذين يدركون ضعفهم، ولا يتباهون لا بالقداسة، ولا بالخطئية. إنّما نستشفّ من عملهم، أنّ الضمير الروحيّ والإنسانيّ هو رفيقهم الدّائم. لا يسعون إلاّ ليكونوا ذواتهم. ولا يقومون إلاّ بما يعتبرونه واجبًا. ولا يأكلون حقّ أحد لمكسب سطحيّ سخيف. ولا يسلبون غيرهم أتعابهم. ولا يكتبون بحبر الغيرة. ولا يملّحون بملح المصالح الضيقة. ولا يسجدون إلاّ لقناعاتهم. ولا ينظرون إلاّ لأعمالهم. ولا يقيّمون ذواتهم بمراكزهم بل بكراماتهم. ولا يطمحون إلاّ لحقّهم. ولا يراكمون الجثث ليرتفعوا. ولا يحفرون القبور ليختبئوا. واسطتهم عملهم. وتعبهم هو خبزهم. حقّهم هو راحتهم. وضميرهم هو رقيبهم. وهؤلاء هم الكثرة في الجامعة.

على ضوء كلّ ما تقدّم أعود لأؤكّد بأنّه: لا جامعة من دون مريم في الإنجيل. ولا حياة في الجامعة من دون مريم في الكنيسة. ولا جهد، ولا مسؤوليّات، ولا تطوّر، ولا حقيقة في الجامعة، من دون أمومة مريميّة.



وهذا ما نقرأه في حياتها:

١. ولدت مريم بحسب تقليد الكنيسة المقدّسة، من والدين تقيّين هما يواكيم وحنّه. وكان والدها يواكيم من الناصرة، من سلالة داود (راجع لوقا ١/ ٣٢). وحنّه أمّها من بيت لحم، من سبط يهوذا (راجع لوقا ١/ ٥؛ ١/ ٣٦). ولادة مريم لم تكن نعمة لوالديها اللذين انتظرا ولادتها بصبر واتّكال على العناية الإلهيّة فقط، إنّما كانت نعمة للبشريّة جمعاء، هذا التاريخ البشريّ الذي كان ينتظر ظهور الحقيقة التي لطالما افتقدها، في عالم ملوّث بالخطيئة والجهل. امتلأت مريم بالنعمة منذ ولادتها، لأنّ الله عصمها بحكمته من الخطيئة الأصليّة؛ أي من التلطّخ بالكبرياء، والإتكال الكاذب على الذات، من دون السجود العميق في كلّ لحظة للحكمة الإلهيّة. لذلك، عندما أصبحت مريم في الثالثة من عمرها، قدّمها والداها إلى الهيكل، لتغتني بالمعرفة، ولتترسّخ في قلبها حكمة الآباء، والملوك، والقضاة، والأنبياء، والمعلّمين الروحيّين، الذين حملوا همّ الله وانقادوا لتعاليمه، واستناروا بإرادته، بالرّغم من ضعفهم وأنانيّتهم وخطيئتهم أحيانًا (راجع لوقا ٢/ ٣٦).

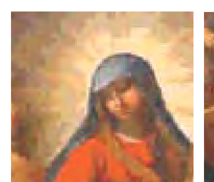
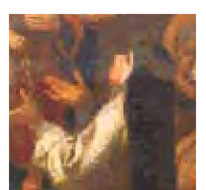
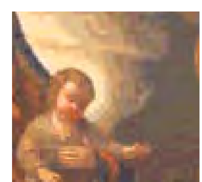
من حضور مريم في التاريخ، نتعلّم بأنّ ولادة الجامعة لم تكن نعمة للرهبانيّة المارونيّة المريميّة فقط، بل لكلّ أبناء هذا الوطن المقدّس الذي ينتظر ظهور الحقيقة، ووضوح الرؤية، لمستقبل أفضل. ونتعلّم أيضًا بأنّ الإستعداد لدخول «جامعة مريم»، يجب أن يعتمد على الإستعداد بالعلم الملتزم بالقيم، وبالمعرفة التي تتوّجها الثقافة، وبالجرأة التي تفخر بالعمل تحت نظر الله؛ وذلك ليكون المنتمي إلى عائلة الجامعة: منسجمًا مع ذاته، وطامحًا ضمن القيم الإنسانيّة والإنجيليّة، ومتّكلاً على العناية الإلهيّة في كلّ ما يقوم به. فكما أنّ يواكيم وحنّه انتظرا ولادة مريم بصبر وإيمان، فإنّ على كلّ من يتقدّم إلى أيّ مركز في الجامعة أن يكون صبورًا، فلا يقطف ثمار أتعاب من سبقوه، ولا يحصد قمح معاناتهم. بل عليه أن يزرع، ويقطف، بتعبه وجهده ومسؤوليّته. وكما قدّم يواكيم وحنّه مريم إلى الهيكل لتكون تلميذة لله قبل أن تقول «نعم»، وتقبل يسوع في أحشائها، هكذا على كلّ ابن من عائلة الجامعة، أن يتعلّم القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة والروحيّة التي تليق بشخصه، لتكون فيما بعد بذورًا صالحة لبناء وطن وإنسان. الإنتماء إلى جامعة سيّدة اللويزة، يعني الإستعداد الجيّد لنكون أهلاً لمسؤوليّة كبيرة، وهي احترام اسم مريم في واقعنا اليوميّ، كلّ من موقعه. والله بحكمته هو من يملأ ضعفنا قداسةً، وأفكارنا آفاقًا رحبة، وتربيتنا حياة. فانتظار المعرفة والنموّ والمستقبل بصبر وجهاد ومسؤوليّة، هو كانتظار ولادة الحياة من أحشاء الأمومة.

٢. في عمر الصبا أصبحت مريم، الفتاة الممتلئة بالحكمة، والفهم، والعلم، خطّيبةً لرجل بارّ إسمه يوسف. عاش حياته بصمت الروح القدس، فكان صمته كلامًا، وتعبيره حياة. وهذه الخطبة بين يوسف ومريم، كانت مظلّة الحبّ الإلهيّة التي اجتمع فيها اثنان ليكون الله ثالثهما، ويكتب باسمهما تاريخ الحبّ البشريّ. وهما بدورهما، كانا تلميذين دائمين لله، ومعلّمين سخيّين للبشريّة جمعاء.

لذلك، فالدخول إلى حضن «جامعة مريم»، يعني التزامًا كلّه عطاء، وليس خدمةً ملؤها المصلحة. فالذي يلتزم في بيت مريم يجب أن يكون على مثال مريم محبًّا حتّى عطاء الذات، وواثقًا بالله حتّى الرجاء، ومتواضعًا حتّى المحبّة، ليستطيع أن يمتلئ بالحكمة والنعمة كلّ يوم.

الله هو الذي يأتي بحكمته ليملأ ضعفنا قوّة، الله هو الذي يتمّم سعينا. والسعي لا يكون بالضجّة والصراخ، إنّما بالصمت والحبّ. فمن انتظر الحقيقة انتظرته، ومن فتّش عن الحبّ بادره الحبّ باللقاء، ومن صمت إجلالاً للحقيقة تكلّمت الحقيقة عنه. لأنّ الصمت هو طريق الحياة والفرح والسعادة.

ومريم من خلال صمتها الفاعل في الكتاب المقدّس، أكّدت أنّه في الصمت يحلو الكلام، وأنّ الإنتظار المغمور بالمعرفة، والأمانة، والإتّكال على العناية الإلهيّة، يولّد التاريخ المشرّف والبنّاء والمثمر. وهذا القليل من الكلام، والكثير من العيش،

كاف ليساعدنا على استشفاف جمالها وخبرتها والتأمّل فيها، ووضعِها مثالاً لحياتنا العمليّة، التي تحتاج أحيانًا إلى شهود أحياء، يعيدون للمبادئ اتّزانَها، وللثورات العابرة هدوءَها، وللعواصف المدمّرة ربيعَها، وللقيم رجاءَها... وهذا الصمت بين خبرة القدّيس يوسف وخطّيبته مريم، ينعكس في واقع الجامعة من خلال العمل الذي يفرح بالثمار وليس بالأوراق، التي تخضرّ في فصل الربيع، وتذبل وتيبس مع إطلالة كلّ خريف وشتاء. فتلميذ مدرسة مريم يدرك أنّ العطاء أفضل من الأخذ، ويعلم أنّ النموّ لا يختبئ خلف الكلمات الرنّانة، والوعود الفارغة، والأحلام المقدّسة التي تغلّف المصالح وتحضن الفراغ؛ إنّما النموّ هو حدث يتطلّب الشجاعة، والعمل الدؤوب، والثبات.

٣. في غمرة أحداث الخلاص، وحنان الله المتنازل إلى الإنسان ليعطيه الخلاص، ويعيد خلقه بالروح من جديد، سلّم الملاك جبرائيل، المرسل من الله، على مريم وقال: «يا ممتلئة نعمة» (لوقا ١ / ٢٨)، وبلّغها بأنّها ستكون أمّ المسيح، إبن الله. ستكون مستودع النعمة، وحاضنة الخلاص. فأجابت مريم منذهلة: وكيف يكون ذلك؟ (راجع لوقا ١ / ٣٤). فطمأنها الملاك بأنّ أمومتها ستكون بقدرة روح الله القدّوس. فخضعت بتواضع لإرادة الله وقالت: «ها أنا أمة الربّ فليكن لي بحسب قولك» (لوقا ١ / ٣٨).

«**يا ممتلئة نعمة**»، أي يا ممتلئة من الله. فمريم التي قضت حياتها القصيرة قبل تقبّل البشارة، في الإصغاء إلى الكتب المقدّسة، والتأمّل فيها، كانت في لحظة البشارة في انسجام كامل مع ذاتها، وفي حالة غاصت من خلالها في سرّ الروح القدس، فلم تستطع الخطيئة أن تلطّخ ثوب نقاوتها. فأضحت «الإنسان» الذي أراده الله قبل الخطيئة. يعيش في حضرته بكلّيّته، ويدرك أنّ الحضور أمامه هو قيمة الحياة وغايتها. فلا غرابة بأنّ مريم كانت تعيش في سرّ الله، وتصغي إلى إلهاماته. وبالتالي ليس غريبًا أن تكون مريم قد اعتنقت الحقيقة وعانقت المعرفة الإلهيّة. وكلّ فرد من أعضاء الجامعة، يجب أن يكون كلّ همّه «الحقيقة» وليس أشباهها. فانتظار مريم لم يكن للسلطة، ولم يكن للجاه، ولم يكن لتاريخ ضيّق، إنّما انتظارها كان يهفو إلى الحقيقة. وبذلك أصبحت أمّ كلّ السلطات، وفخر كلّ الأجيال، والتاريخ الحقيقيّ في سرّ خلاصنا. فشعار «**استثاغة الحقيقة**» الذي رفعته الجامعة، لم يكن وليد الصدفة.

عندما بادرت إرادة الله من خلال رسالة الملاك، لم تستهجنها مريم، ولم ترفضها، ولم تشعر وكأنّ الذي يحصل معها لا يمتّ إلى الواقع بصلة، بل بكلّ بساطة قبلت حضور إرادة الله لأنّها كانت في الله، وبالله تنمو كلّ يوم. أمّا اضطراب قلبها الذي جاء كردّة فعل إنسانيّة طبيعيّة، عبّرت عنه من خلال تساؤلها: «ما عساه يكون هذا السلام؟» (لوقا ١ / ٢٩) أي ماذا تريد منّي يا ربّ؟ ماذا تنتظر منّي أنا الأَمَة البسيطة من قرية الناصرة التي عشت حياتي في الظلّ كـ «**زهرة صغيرة منسيّة**» كما يقول الأب الحبيس يوحنّا خوند. وهذه الأفكار لا بدّ من أن تدعو أبناء جامعتنا، إلى التأمّل في الحقيقة. وبالتالي على عائلة الجامعة أن تضطرب لمعرفة ماذا يريد الله منها. والإضطراب كما تعلّمنا إيّاه مريم هو ردّة فعل روحيّة، يشعر من خلالها الفرد بضعفه وتواضعه وانسحاقه أمام مشاريع الله المقدّسة الذي يدعوه إليها، مقرًّا في ذاته، ومعبّرًا عن قناعاته، وقائلاً: «من أنا يا ربّ لأكون شريكًا لك في تربية الإنسان؟ من أنا يا ربّ لأكون شاهدًا للمحبّة في جامعتنا المريميّة؟ كيف أستطيع يا ربّ أن أكون خادمًا لرسالتي ومستحقًّا لها؟»... فالإضطرابات ليست كما نشعر بها نحن أحيانًا ونعبّر عنها بالقول: لمن ستؤول المسؤوليّة؟ ومن سيولّى علينا؟ وكيف سنتقدّم لنتدبّر؟ وكيف سنكون الأفضل بين أترابنا؟ وكيف سنعبر الزمن بمراكب الواسطة والتبعيّة والعجرفة؟ لماذا هو وليس أنا؟ لماذا هو ولا أحد؟ ...



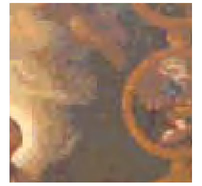
٤. مريم، عندما لم تفهم من خلال خبرتها ومعرفتها، سألت: «كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟» (لوقا ١/ ٣٤). ففي تاريخ الخلاص، لم يحصل أنّ امرأة قد ولدت طفلاً من دون رجل. وهذا أيضًا دعوة لنا كي نسأل ونستفسر عندما لا نفهم. فالسؤال حقّ، ولكنّ الجواب حقّ أيضًا. وهذه الأسئلة التي يواجهها ويوجّهها إلينا مجتمعنا اليوم، يجب أن تكون مصدر كلّ اضطراب فينا، فنبحث عن الحقائق كما نبحث عن الكنوز، ونتعمّق بالمعرفة لندرك الحياة. وهذا السؤال غير المسبوق، يتجلّى في الجامعة من خلال البحوث العلميّة التي تخدم الأفراد ومجتمعنا ووطننا.

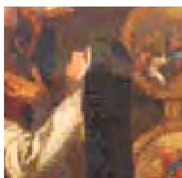
ومريم عندما فهمت، قبلت إرادة الله. وقالت بكلّ كيانها «**نعم**» لسرّ الله. وهي تدرك من فهمها للكتب المقدّسة، ومن خلال النعمة التي ظلّلتها، أنّ الآلام ستكون طريق المسيح المخلّص، حمل الفصح، حامل خطايا العالم. (راجع آشعيا ٥٣) «ها أنا أمة للربّ فليكن لي بحسب قولك» (لوقا ١/ ٣٨). كلمات تكشف للمنتمين إلى جامعتنا المريميّة، أنّ الخضوع للرسالة بحريّة، ومسؤوليّة، لا يعني الضعف، بل الوقوف في وجه التيّارات الغريبة، والمخادعة، التي تفرش الزهور على القبور، وتبني الأحلام على الخبث والمراوغة. الخضوع للأمانة التي وضعها الله في قلب وشهادة وعلم وثقافة كلّ أستاذ وموظّف، يعني القبول بالحقيقة، والذهاب أبعد من الوظيفة والمال والمسؤوليّات، لحمل البشارة التي تعطي لكلّ ثقافة وشهادة معنى أعمق، يتجلّى في خدمة الإنسان في كلّ زمان ومكان؛ الإنسان الذي لا تحدّه الحاجات الماديّة، بل يملأ قلبه الشوق إلى «**استناغة الحقيقة**». والحقيقة ليست فكرة فلسفيّة مجرّدة لا تمتّ إلى الواقع بصلة، إنّما هي قرار يتّخذه الإنسان كلّ صباح، يلتزم من خلاله درب الصليب، لبلوغ القيامة. والحقيقة تتطلّب جهدًا، من خلال تغليب منطق الموضوعيّة على المصالح الشخصيّة، والسجود بالتواضع أمام القيم التي تطلب من الأفراد الأمانة لأنظمة تضعها الجامعة وهي لخير الجميع. فالنظام والحقيقة توأمان ينموان معًا، ومن يحترمهما يستطيع أن يقول «ها أنا موظّف أو أستاذ أو طالب في جامعة مريم، فليكن لي بحسب قولها».

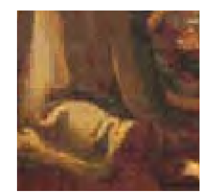
٥. قبول إرادة الله التي ملأت قلب مريم بالنعمة، تحوّل مباشرة إلى أسلوب حياة يعرف كيف يتخطّى ذاته لينقل الحياة إلى الأشخاص المحيطين به. لذلك ذهبت مريم إلى خالتها أليصابات التي كانت في أشهرها الثلاثة الأخيرة من حبلها، وبقيت عندها حتّى ولدت ابنها يوحنّا المعمدان. وكانت أليصابات تعيش في عين كارم اليهوديّة، التي تبعد ١٥٠ كلم عن ناصرة الجليل. وعند وصول مريم إلى أليصابات سلّمت عليها، فقالت لها خالتها: «من أين لي أن تأتي إليّ أمّ ربّي» (لوقا١/ ٤٣)، ومدحتها لإيمانها. وهذه المسيرة من البشارة إلى الزيارة هي مسيرة أبناء جامعتنا، التي فيها يقوم الموظّف والأستاذ والطالب، بمسيرة من المعرفة إلى الشهادة، أي من الإستعداد بالعلم والخبرة، إلى الثقافة والخدمة.

فعلى كلّ أبناء جامعتنا أن يدركوا بأنّ ما أعطي لهم من إمكانات، ليس مجرّد امتيازات بشريّة، إنّما هي عطايا إلهيّة وجدت في حياتهم لتُقدّم إلى من هم حولهم، ليحملوهم إلى الأفضل والأنقى. فالـ ١٥٠ كلم التي مشتها مريم تجاه أليصابات خالتها، هي مسيرة السنين الذي يسيرها الموظّفون والأساتذة مع الطلاّب، حاملين لهم الحقيقة، وفرحين معهم بنموّهم وقبولهم الحياة؛ لأنّ الحياة ليست عند الولادة، إنّما الحياة هي كلّ لحظة نعيشها. فكما نفرح بالمولود الجديد لدى حضوره، علينا أن نفرح بكلّ ثانية من ثواني حياتنا، لأنّنا نولد فيها من جديد. وكما نعطي الحبّ مع الطعام لأبنائنا، علينا أن نعطي الحب والفرح والسلام والأمان والثقة مع الثقافة والعلم لطلاّبنا.

وكما أنّ أليصابات عرفت مكانتها وحجمها أمام مريم لتقول لها هذه الكلمات: «من أين لي أن تأتي إليّ أمّ ربّي» (لوقا ١/ ٤٢)، فإنّ على جميع العاملين في جامعتنا أن يفاخروا ويقولوا: «**من أين لنا أن نعمل في جامعة مريم**»، إنّه لشرف كبير أن نكون في عهدة أمومتها، وكرامتنا تنبع من انتمائنا، لأنّ الإنتماء ليس بكلمات رنّانة ولا بمبادئ تضرب في الفراغ، إنّما بأفعال تعاش وتطبّق. ومعرفة كلّ فرد من أفراد جامعتنا لذاته يفرض عليه أن يدرك أنّ الفرد هو جزء من عائلة، وليس الفرد هو اختزال للجماعة. فالكلّ يجب أن يكبر، والكلّ يجب أن يجد ذاته ومكانته، ولكن لا يجب أن تكون المكانة على حساب أحد. فالعدل هو ضمانة الإفتخار.







لذلك، قالت مريم بعد زيارتها لخالتها، أي لصورة الإنسان القريب الذي يأتمننا عليه الله: «تعظّم نفسي الربّ وتبتهج روحي بالله مخلّصي...» (لوقا ١/ ٤٦). هي كلمات تكتب التاريخ البشريّ، وتفتح آفاقًا لنا جميعًا تساعدنا على العيش بفخر، فخر الأبناء الذين يعتزّون بما أنعم به الله عليهم. نعم، إنّ نفوسنا تعظّم الربّ وتبتهج به، لأنّه أعطانا أن نعيش بالنعمة. ونعمة أن نكون في الجامعة المريميّة لا نفهمها إلاّ في عيون من يتمنّون أن يكونوا في عداد هذه العائلة الجامعيّة، وفي جشع من يستغلّون واسطاتهم ومصالحهم ومراكزهم ضمن هذه العائلة الجامعيّة ويتشبّثون بها لأنّها تدرّ لهم لبنًا وعسلاً.

ومن خلال تعبير «تعظّم نفسي الربّ، وتبتهج روحي بالله مخلّصي» تفهمنا مريم أنّ الإنتماء إلى الرسالة الموكلة إلينا، لا يكون انتماءً جسديًّا فقط، إنّما من الضروريّ أن يكون انتماءً نفسيًّا وروحيًّا، أي انتماءً كيانيًّا. فالمهمّ ليس كميّة العمل الذي نقوم به، بل نوعيّة وأسلوب وجديّة العمل الذي نقوم به، وبالتالي روحيّة العمل، لأنّ رسالة الجامعة لا تقتصر على توظيف أشخاص يبحثون عن عمل، بل هويّتها هي دعوة جديّة وعميقة للشهادة للحقيقة الإلهيّة المنضوية تحتها.

٦. عندما عادت مريم إلى النّاصرة اختبرت بألم تردّد يوسف الذي وُضِعَ أمام أمومة لا يدرك مصدرها (راجع متّى ١/ ١٨). تألّمت مريم وانتظرت افتقاد الله لها. ولكنّ الآب الحنون الساهر دائمًا على أبنائه، بدّد هواجس يوسف إذ ظهر له في الحلم وطلب منه أن يأخذ مريم إلى بيته. فالفكر البشريّ عندما يبلغ ملأه بالحكمة، عليه أن يعرف كيف يسجد لله، تمامًا كما تسجد سنبلة القمح عندما تمتلئ بالثمر. وهذا التردّد الذي انتاب القدّيس يوسف تجاه مريم، يكشف لنا بوضوح تردّدَ البشر أمام مخطّط الله في رسالتهم، كما يحدث في جامعتنا أحيانًا؛ فكم من مرّة لا نفهم، فنسأل: لماذا تكون الإمكانات البشريّة المستوردة مصدرًا للنموّ، وليس النوايا الطيّبة، والموهبة، والانتماء، والإمكانات الموجودة؟ لماذا يُنظر إلى المركز وليس إلى العمل؟ لماذا ترتفع الجثث فوق أكتاف الأحياء؟ لماذا الإستمتاع بالنور وليس بالشمس؟ لماذا نزرع ونسقي ونفلح ونقدّم العناية ولا نستطيع أن نشارك في موسم القطاف؟ لماذا نزرع الورود ولا نحصد العطور، بل الأشواك؟... ويجيبنا الله: لماذا لا تنظر وتعطي الأهميّة إلى من ينظر إليك ويحبّك ويفهمك ويقدّرك ويقبلك كما أنت، ومن دون أن يحمّلك مأساة من يجب أن تكون؟ لماذا تستمتع بالنظر إلى من يحتقرك، وتعطيه أكثر ما يستحقّ؟ لماذا تنظر إلى العبيد في مسؤوليّاتهم ولا تنظر إلى السيّد الذي يرسم للعبيد أدوارهم؟ لماذا؟!!!

بدّد الله هواجس القدّيس يوسف فأفهمه؛ أنّ ما هو مستحيل عند البشر ممكن عند الله، فكانت القناعة، و«**القناعة كنز لا يفنى**»؛ لذلك فما يبدّد هواجسنا ويجيبنا على تساؤلاتنا هو الله وحده وليس غيره...

ومريم تعلّمنا أنّ من يتّكل على الله لا يخزى. والله الذي يسلّمني مسؤوليّة وأقبلها منه بأمانة، يصبح هو المدافع والمحامي عنّي، هو «البارقليط». بالنسبة للقدّيسة مريم والقدّيس يوسف لم يكن المستقبل واضحًا؛ كلّ ما رأياه كان غير مستقرّ، ولم يستطيعا أن يميّزا القيامة في التجسّد. ولكن، كما يقول الربّ يسوع: «الذي يثبت إلى النّهاية فذاك الذي يخلص» (متّى ١٠/ ٢٢). وقال أيضًا: «إنّكم بثباتكم تكتسبون أنفسكم» (لوقا ٢١/ ١٩). قد لا يكون أفق جامعتنا واضحًا على مستوى الحقيقة والعدالة والمساواة، ولكن أنا متأكّد بأنّه في جامعة مريم، لا بدّ من أن تطبّق هذه المبادئ والقيم، فتعود الجامعة إلى التنفّس بروح المؤسّس الإلهيّ.

٧. «وفي تلك الأيّام أمر القيصر أوغسطس بإحصاء سكّان الإمبراطوريّة» (لوقا ٢/ ١)، فأُجبر الخطّيبان مريم ويوسف على الإلتزام بما تفرضه القوانين السياسيّة في ذلك الوقت، فصعدا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهوديّة إلى بيت لحم مدينة داود، ليكتتبا هناك... خضع مريم ويوسف لقوانين المجتمع المدنيّ، ولم يعيرا فساد أغوسطس



القيصر أيّ أهميّة، لم يثورا على مجتمع ملوّث بالكبرياء، إنّما كلّ ما قاما به هو أنّهما لم يتلوّثا بالتلوّث الحاصل. فكانا مواطنين صالحين، سارا بشريعة المجتمع بأمانة. ولكنّ شريعة قلبيهما كانت المحبّة، فلم يستطع شرّ المجتمع أن ينتزعها من قلبيهما. فنحن في الجامعة في خطر التلوّث الدائم؛ بأفكار مجتمعنا الماديّة والأنانيّة، التي تقدّم المصالح الخاصّة على المصالح العامّة، وتعترف بالواسطة وليس بالكفاءة، تعمل للطائفة وليس للوطن، وتبني بأموال الفقراء وتحافظ على مال الأغنياء في المصارف، تختار الزحّافين والوصوليّين وتهمل الأحرار والأبطال.... لذلك، علينا أن ننظر إلى مريم ويوسف، هذه العائلة المقدّسة، التي تعلّمنا بأن نكون في العالم، ولكن لا أن نكون كالعالم الفاسدين (راجع يوحنّا ١٧/ ١٤).
فميزة جامعتنا أنّها تحترم الجميع، وتؤدّي واجباتها تجاه المجتمع المدنيّ، وتحترم الإختلاف والتنوّع، وتنحني للإنسان. ولكنّها في الوقت عينه، لا تستطيع إلاّ أن تكون ذاتها وأن تتعلّم خصوصيّاتها من كتاب مريم. وهنا لا بدّ من السؤال:

- لماذا يجب أن تكون الجامعة حاضرة لاحترام حريّة الأفراد؟ وهم لا يجب أن يكونوا مستعدّين لاحترام خصوصيّتها المريميّة؟
- لماذا يجب عليها أن تحترم تعدّدية الأفكار؟ وهم لا يجب أن يحترموا موضوعيّة الإنجيل؟
- لماذا يجب عليها أن تدافع عن الحقوق؟ وليس للجامعة المريميّة أيّ حقّ؟
- لماذا يجب أن تبذل المال والجهد لتتعلّم من الثقافة الغربيّة، والعلمنة، والخبرات الإنسانيّة كافّة؟ ولا يجب أن يُتقن فيها فنّ الإصغاء إلى خبرة القدّيسين وبخاصّة صاحبة البيت مريم؟
- لماذا يجب أن تقدّم التسهيلات للبحوث العلميّة، فتقبل التسهيلات وتترك البحوث؟...

في الواقع يكفي أن ننظر إلى حياة مريم لنكتب أفضل نظام، ونعلّم أفضل تعليم، ونبني أفضل عائلة، ونزاحم أهمّ الأنظمة المرعيّة في أفضل جامعات العالم، ونبدع بالبحوث العلميّة. فقبل أن نتعلّم من الآتين من الخارج، علينا أن نتعلّم من الملهمة في التأسيس والمرافقة في النموّ، أمّنا مريم. وهذا النظام الإنسانيّ الروحيّ الذي وضعته هذه الأمّ بحياتها، هو ما يضمن رفع اسم جامعتنا مع أسماء أكبر جامعات العالم. فكتاب مريم هو كنزنا، ولكن يجب أن نتنبّه بأن لا نحمل الكنوز من دون إدراك عميق لقيمتها.

٨. وفي بيت لحم لم تجد مريم مكانًا لتلد الحياة للحياة، فكانت المغارة (راجع لوقا ٢/ ٧)، يسهر من حولها بعض الرعاة، الذين كانوا أوّل من أدرك العناية الإلهيّة الساهرة على سهرهم (راجع لوقا ٢/ ٨-١٦). وفي الجامعة قد لا نجد مكانًا عظيمًا، أو مركزًا مهمًّا، أو إيرادات مبهجة، ولكنّ تلك المغارة التي تدفئ قلوبنا، لا بدّ من أن نجدها؛ «**لأنّه ليس المهمّ ما نقوم به، إنّما المهمّ ما هو نحن**». فالفنّان الحقيقيّ يستطيع أن يرسم على التراب، إنْ لم يتوفّر له القماش المطلوب. والأمّ تستطيع أن تهب حنانها، حتّى ولو لم يتوفّر الطعام لأطفالها. والكاتب يستطيع أن يفكّر، ويكتب على الهواء، إذا لم يجد قلمًا يخطّ من خلاله رأيه. والموسيقيّ يستطيع أن يستمتع بصوت الهواء، وخرير المياه، وصوت زخّات المطر، إذا لم يجد آلة تطربه... وكذلك الأستاذ يستطيع أن يقدّم المعرفة والثقافة والعلم والطيبة من قلبه، حتّى ولو كان مكتبه صغيرًا.
كما أنّ الموظّف ولو لم يكن نائبًا للمدير، فإنّه يستطيع أن يخدم من حوله ببساطة ومحبّة. إضافة إلى ذلك، ليس المهمّ المركز، إنّما المهمّ هو الشخص. فالأهميّة نسبيّة: فتنظيف الجامعة يكون أحيانًا مهمًّا أكثر من التعليم فيها؛ أنستطيع أن نعلّم في مكبّ للنفايات؟... نعم المغارة موجودة دائمًا، ولكنّ الأهمّ هو ما يحدث في المغارة، لأنّ المغارة من دون حدث تظلّ إسطبلاً للحيوانات. والحدث في مغارة مريم هو النور الذي أتى إلى العالم ليبصر العالم النور (راجع يوحنّا ١).
وجامعتنا ليست البناء العظيم، إنّما هي تلك القلوب، أيّ المغارات المقدّسة التي يسكنها الحبّ الإلهيّ، لأنّه حدثها الدائم، وهي تشهد للنور. لذلك، على أبناء جامعتنا أن لا يزيلوا من بين حيطانها الضخمة تلك المغارات المضيافة، التي تدرك أنّ العظمة ليست في الموقع والمركز والرئاسات، إنّما في الرسالة والشهادة والهدف.

٩. وعندما قرّر هيرودس أن يبحث عن الطفل يسوع ليقتله، أي عن الحقيقة ليلغيها، لأنّه خاف على منصبه ومركزه ومملكته، ظهر ملاك الربّ للقدّيس يوسف البارّ في الحلم «وقال له: قم، خذ الطفل وأمه واهرب إلى مصر وأقم فيها» (متّى ٢/ ١٣). لم يكن يومًا حدث مريم في الكتاب المقدّس حدثا موقّتًا يقف عند حدود أفكار الناس ونظراتهم الضيّقة. فحدث مريم في الكتاب المقدّس هو حدث إنسانيّ يمتدّ عبر الدهر ليبلغ كلّ البشر في كلّ زمان ومكان، على اختلاف ألوانهم، وأشكالهم، وخبراتهم، وانتماءاتهم، وامتداداتهم التاريخيّة والجغرافيّة. أليست هذه هي هويّة الجامعة الكاثوليكيّة المارونيّة، أي الجامعة المريميّة.
هيرودس كان يخاف على عرشه، أمّا مريم فكانت تخاف على الإنسانيّة. هيرودوس اهتمّ لواقعه، أمّا مريم فكان همّها خلاص البشريّة. هيرودس كان يهتمّ لخصوصيّاته، أمّا مريم فاهتمّت للحقيقة. وكلّنا يدرك ما معنى الذهاب إلى مصر بالنسبة لمريم: أي من دون لغة، ولا مال، ولا أقارب، ولا ضمانات. وهذا هو واقع جامعتنا التي لطالما تساءلنا: ما هي الضمانة؟ لماذا هذا النموّ رغم كلّ هذا الضعف؟ لماذا هذا النجاح بالرّغم من إمكانيّات عظيمة للفشل؟ لماذا هذا الإبداع بالرّغم من وجود ذئاب وثعالب؟... ليأتي هذا النصّ الإنجيليّ الذي نتأمّله فيكشف لنا بأنّ جامعتنا هي قائمة ومبنيّة على الصخر، ترافقها مريم وتسهر عليها حتّى عندما تكون مجرّدة من كلّ الضمانات، كما سهرت على الإنسانيّة ومخلّصها في رحلتها إلى مصر من خلال اتّكالها الكامل على العناية الإلهيّة.

١٠. وبعد العمل، والتعب، والانتظار، والاستعداد، بدأ يسوع معجزاته ورسالته من قانا الجليل، فأظهر حبّه للعروسين وأهلهما، وبارك سرّ الزواج بحضوره وسهر أمّه مريم (راجع يوحنّا ٢/ ١). فخبرة أمّ النور في قانا، هي تجلّ وتتويج لخبرة البشارة؛ ففي البشارة سألت مريم لتفهم، وفي عرس قانا لم تسأل، بل طلبت من الخدم أن يفعلوا كلّ ما يأمرهم به يسوع بشجاعة، ومن دون أيّ خوف وتردّد. في البشارة كان الله المبادر، وفي عرس قانا بادرت مريم. في البشارة كانت التلميذة، وفي عرس قانا أضحت أمّ الكنيسة. في البشارة تقبّلت مريم إرادة الله، وفي عرس قانا أظهرت تواضع إرادتها. وبذلك كشفت لنا أنّ المعرفة تقود إلى المحبّة، والمحبّة هي طريق الثقة، والثقة هي وثبة القلب إلى الله.
لا خوف في المحبّة. نعم، مريم في عرس قانا الجليل، كانت عنصر الفرح الأساسيّ للحياة الزوجيّة، وضمانة الحبّ البشريّ بسهرها في مجتمع مغلق أنانيّ ينتظر ما يحتاجه، ولا ينظر أبدًا لا إلى النوايا الطيّبة ولا إلى حاجات الآخرين.
مريم في عرس قانا وقفت بحريّة الروح وقالت تشجّعوا: **عليكم أن تنموا**، خاصّة عندما يهدّد الواقع خمر حبّكم (راجع يوحنّا ٢/ ١-١٢). **عليكم أن تعبّروا**، فتطلبوا ملكوت الله وكلّ ما دونه يزاد لكم (راجع متّى ٦/ ٣٣). **عليكم أن تكونوا أحرارًا** فلا تحدّكم تقاليد، ولا تثنيكم عن الخير كلّ محدودات الحياة (راجع مرقس ٢/ ٢٧). وهذه هي الرسالة الأعمق التي توجّهها إلينا مريم اليوم في الجامعة من خلال خبرة عرس قانا الجليل:

عليكم أن تنموا: لا يستطيع أحد أن يمنعنا عن النموّ. فبالنموّ تكتمل الحياة وتبلغ ذروتها. والنموّ هذا هو دليل قاطع على أنّ الزرع موجود في أرض طيّبة. وزرع جامعتنا موضوع في تراب مريميّ، تغذّيه صلوات الرهبان، ويرتوي من ينبوع التأسيس الذي أراده الله في رهبانيّتنا المريميّة، ويجد كلّ يوم تربته الصالحة في الكتاب المقدّس.
على جامعتنا أن تنمو بالقامة؛ أيّ بالمباني، والساحات، والكليّات. ولكن هذا الأمر لا يكفي، لأنّها يجب أن

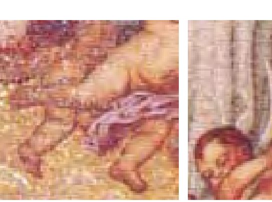
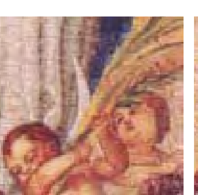
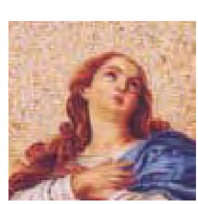


تنمو أيضًا بالحكمة: حكمة التقدّم على أساسات متينة، وليس في المجهول؛ والحكمة في اختيار ما يتناسب مع هويّتها، وما يتكامل مع صلابة رسالتها؛ والحكمة في اختيار وسائل النموّ ووسائل التقدّم، من دون العمل على فرض شخصيّة للجامعة، غريبةٍ عن هويّتها وتاريخها، وذلك بإلباسها لباس الكبار، وهي ما زالت في أقمطة الطفولة. فالنموّ فيها يجب أن يكون طبيعيًّا كنموّ الطفل المحضون بحنان الوالدين. فإجبار طفل صغير على ارتداء لباس الكبار مثلاً، لا يكون تقديرًا له، في كثير من الأحيان، إنّما يكون طعنًا بطفولته. فتكريمه كطفل يعني ترك الإمكانيّة له ليكبر بطريقة موضوعيّة ومنطقيّة، فيبلغ مبلغ الكبار، وبذلك تضحي طفولته نعمةً وليس نقمة، وشبابُه شخصيّةً ومضمونًا وليس شكلاً وفراغًا، وكهولتُه حكمةً واتّزانًا وليس جنونًا وهلوسة. ولاكتمال مسيرة النموّ، لا بدّ للجامعة من أن تنمو بالنعمة، أي بالله. فلا مكان في الجامعة لأعداء الله، ولا للماسونيّين، ولا لشهود يهوه، ولا لأعداء الكنيسة، ولا لمنتقدي السيّد البطريرك، ولا لأصحاب القيم العمياء الماركسيّة والنيتشويّة واللاوطنيّة، ولا للّذين يقرأون في كتاب واحد، وغيرها... ولا لرافضي الحقيقة. الجامعة هي لأبناء الله، هي لأبناء النور، الذين يعشقون الحقيقة، وينطلقون من منطق حقيقة الله. فأبناء الجامعة هم ممّن يبحثون عن الحقيقة، وليسوا من أعدائها.

عليكم أن تعبّروا: والتعبير هو أسمى وأصدق طرق إبراز الذات. فتعبيرك هو أنت. التعبير في الجامعة يكون بالتعليم، والتربية، والتمييز بين التناقضات. التعبير يكون في البحوث العلميّة والتفتيش عن الحقيقة. التعبير يكون بالمواقف الشجاعة المناهضة للقيم اللاأخلاقيّة واللاإنسانيّة واللاروحيّة. التعبير يُظهر خبرات الماضي، ويحدّد هويّة الحاضر، ويقرّر فسحة جمال المستقبل. والتعبير يفترض التزامًا صادقًا بما نعبّر عنه. قد تختلف أساليب التعبير، ولكنّ المضمون يجب أن يكون واحدًا مبنيًّا على أسس مسيحيّة يحدّدها القدّيس بولس في رسالته إلى أهل غلاطيه وهي: «المحبّة، الفرح، السلام، الصبر، اللطف، كرم الأخلاق، الإيمان، الوداعة، العفاف. وهذه الأشياء، ما من شريعة تتعرّض لها» (٥/ ٢٢-٢٣). التعبير في جامعة مريم، يجب أن يكون بروح مريم. وأساليب التعبير المعتمدة بشريًّا: كالخبث، والكبرياء، والمصلحة، والأنانيّة، ومحبّة السلطة، وعبادة المال، واستعمال الأشخاص، وامتطاء المراكز للوصول إلى الغايات، واستهلاك المناسبات لإرضاء الذين في يدهم القرارات... هذه الأساليب ليست من شيم جامعتنا المريميّة.

عليكم أن تكونوا أحرارًا: والحريّة ليست في «فعل ما نشاء»، إنّما هي خضوع واعٍ وحرّ للقوانين الإنسانيّة، التي تراعي فرادة الأفراد واختلافهم وتناغمهم. فأنا حرّ ضمن إنسانيّتي، ولكن عندما أخرج عن ضوابطها تصبح حريّتي تسلّطًا وكبرياءً وحقدًا. الحريّة هي قدرة تتجلّى في شخصيّة الإنسان، تتأصّل في عقله وإرادته؛ وهي تحرّك خياراته وأفعاله، وهي مصدر كلّ نموّ ونضج في الحقيقة والخير. وهذه الحريّة الإنسانيّة تجد كمالها عندما تسجد لله الخالق مصدر السعادة الحقيقيّة. وحياة الحريّة تنمو وتكبر وتنضج من خلال فعل الخير، لأنّها لا تستطيع أن تكون حقيقيّة بمفهومها إلاّ إذا كانت خادمة للخير والعدالة. (راجع التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة عدد ١٧٣١). الحريّة في جامعتنا، ليست تفلّتًا من الأنظمة، ولا ردّات فعل على مواقف، ولا تطبيقًا لمبدأ «**عين لا ترى قلب لا يوجع**»، ولا ديكتاتوريّة في القرارات، ولا قولبة الأشخاص على حجم المصالح، ولا خوف من عواصف الحقيقة، ولا الكيديّة في العدالة، ولا كما يقول الشاعر المنبريّ العظيم خليل روكز:

«أعمى وشايف الناس مبسوطين وأطرش وسامع الناس بتغنّي».

١١. ومن عرس قانا نتأمّل مع مريم صليب الخلاص، حيث رافقت إبنها الحبيب يسوع في مسيرة الألم: من حكم المجمع، إلى الجلد، إلى الصلب. وكانت تحت أقدام الصليب تتألّم وتتأمّل آلام يسوع، الذي أعطى كلّ ما لديه، حتّى هي. فأضحت أمّ البشريّة جمعاء في شخص القدّيس يوحنّا الحبيب (يوحنّا ١٩/ ٢٥). فبالألم بدأت أمومة مريم الروحيّة تفيض على الأجيال والأحداث والأوطان والمؤسّسات، ومن بينها جامعتنا الحبيبة. وهذه الخبرة هي تعزيتنا التي من خلالها نتعلّم بأنّ الصليب ليس غاية إنّما وسيلة، نتألّم من خلالها ألم الرجاء، لنبلغ الحقيقة والحياة. فكلّ عضو من الجامعة، عليه أن يقف كمريم صامتًا وجبّارًا أمام صعوباته اليوميّة: أمام اللاعدل واللامساواة؛ أمام القهر وعدم القدرة على المواجهة؛ أمام الظواهر الكاذبة التي تبيّن أنّ الحقّ يموت، والرحمةَ تُسحق بالكبرياء؛ أمام الشعور بالقهر من أنّ الكذب ينمو والصدق يضمحلّ؛ أمام كلّ متناقضات الواقع. ولكن! من دون أن ينسى الجميع بأنّ القيامة آتية، وقراءة الغد لا تكون بما تراه العيون، بل بما تدركه القلوب. ومهما طال الألم ومهما بان الشرّ قويًّا، فصليب الحياة سينتصر بالرجاء والقيامة.

١٢. أمّي! هي كلمة لطيفة وحنونة وعبقريّة، هي كلمة موسيقيّة تتناغم والقلب البشريّ، هي إحساس يضمّ إلى قلبه جوهر المخلوقات الإنسانيّة. هذه الكلمة لا تشرح إلاّ بتعبير واحد وهو: «المحبّة».

أمّي! كلمة تخاطب لحظات الطفولة، وتشعرنا بدفء حنان ذراعين تحضناننا وتلفّاننا بحنانهما. وعينان مسمّرتان في عيوننا، وهي تدفق بالعاطفة وتغمرنا بالسعادة.

في كلّ لحظة تكون الأمّ ضمانتنا: هي صديقة أوقات الفرح، ودفء أوقات الشدّة. تعزياتها تبلسم جراحنا وتشجّع قلوبنا.

وهناك في السماء، في مجد الله، تسهر علينا هذه الأمّ، وهي تحبّنا لأنّنا أبناؤها الذين ولدنا من أحشاء صليب ابنها. أمومة مريم هي المرجع والغاية والهدف...

فيا أمّنا «صلّي لأجلنا نحن الخطأة الآن وفي ساعة موتنا، آمين»






الدستور اللبناني

الصادر في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦
مع جميع تعديلاته


إدمون رزق

وثيقة الوفاق الوطنيّ
عَهْدٌ وعَقْد

بعد تسعينَ سنةً من إعلان «دولة لبنان الكبير» (١)، لا يزالُ هذا الوطنُ الصغير يَنْشُدُ وحدتَه. ويجهد لإقامة جمهوريّته الحديثة. خلال تسعة عقود، ظلّ لبنان حُلُمَ أجياله، أمنية أصدقائه وقِبلةَ إخوانه. أُطلقت عليه تسمياتٌ ونعوتٌ كثيرة، فهو: نموذجٌ حضاريّ، صيغةٌ فريدة، بلدُ العيشِ المشتركِ والتعايش والحياة الواحدة، أرضُ الحوار بين الأديان، مختبرُ تلاقُحِ الحضارات، مهدُ الأبجديّة، مدينةُ اللهّ والمركزُ الدَوْليُّ لعلومِ الانسان والانماء(٢)، وهو جسرُ العبور بين الشرق والغرب، الجامعة والمستشفى والمنتجع، العربيّ الجذور العالميّ الحضور، مقبرةُ الفاتحين ولعنةُ المحتلّين، توأمُ التاريخ، واحةُ الحريّة وموئل الأحرار... إنّه وطنُ الأرز الخالد الوارد ذكرُهُ في الكتاب المقدّس، مدنُه ممالكُ فينيقيا وهياكلُ الرومان، وعاصمتُه أُمُّ الشرائع!

هذه المعاني والمضامينُ الشعريّة الطَموحة، التي تجسِّدُ قِيَماً إنسانيّة، وإبداعاتٍ فكريّةً، وتاريخاً مجيداً، على مساحةٍ جغرافيّة ضيّقة، تحتوي أعلى نسبة من المواقعِ المصنّفةِ تُراثاً عالميّاً، تبدو مهدّدةً باستمرار في شكل مأسويّ.

من هذا المنطلق، وفي خِضمِّ تطوّراتٍ مُقلقة، وَسْطَ انقسامات حادّة، وصراعاتٍ قاسية، وتمدُّدٍ عدوانيّ، وهجماتٍ إرهابيّة، لا توفِّر بَلَداً في العالم؛ رأينا تقديمَ طرح موضوعيّ، لما يعتبر الكثيرون ويعلنونه، أنّ «وثيقة الوفاق الوطنيّ» لا تزال تمثّله من فرصة لإنقاذ الجمهوريّة اللبنانيّة المهتزّة.

بدايةً، أحرصُ على التوضيح أنّنا لسنا في وارد خوض جدليّة سياسيّة، ولا في صدد تقاذُفِ التَبِعاتِ والأوزار، فلبنانُ في محنةٍ مشهودة، وجميعُ اللبنانيّين، ولو غيرُ ضالعين، معنيّون ومسؤولون. الوطنُ في خطر، وهذا أوانُ الوطنيّة. المعرفة حقّ والشهادة واجب!

عودٌ إلى بدء

في ظروف صعبة، بل مستحيلة، سياسيّاً واقتصاديّاً، أمنيّاً ومعيشيّاً، وفي ظلِّ اختلال كبير للتوازنات، وانهيارٍ بنيويّ ذريع، نتيجةَ عواملَ خارجيّة، وتفكّكٍ داخليّ، وفراغٍ غير مسبوق لأكثر من سنة، في رئاسة الجمهوريّة، انعقد مؤتمر الطائف، للنوّاب اللبنانيّين، من جميع الطوائف وسائر المناطق، برعاية عربيّة أخويّة كريمة، ومواكبة دوليّة خيّرة.(٣)

تفاصيلُ ذلك الحَدث ومجرياتُه معروفة، فلن نستعيدَها. نكتفي بالقول إنّ المجلس النيابيّ المنتخب سنة ١٩٧٢، قبل المؤتمر بسبعَ عشرةَ سنة، في آخر تعبير حُرّ عن إرادة الشعب، والذي كان قد فقدَ خمسةً وعشرينَ من أركانه، بقي يومذاك المؤسّسة الشرعيّة الوحيدة الموحّدة، في هيكليّة الدولة اللبنانيّة المفتّتة على كلّ مستوياتها. هنا أفتح مزدوجين لأُضيف: إنّ ستّةً وثلاثينَ من الذين حضروا المؤتمر، وعشرةً من أحد عشر تغيّبوا عنه، قد لاقوا وجهَ ربِّهم بعدَه، فلم يبقَ من شهودِ الطائف الاثنينِ وستين سوى ستّةٍ وعشرين... يُشرّفُني أن أكون واحداً منهم.

عهدٌ وعقد

جسّدت «وثيقة الوفاق الوطنيّ» عهداً لتوطيد حياةٍ كريمة بين اللبنانيّين، ومثّلت «عقداً» لشراكةِ المسؤوليّة، في بناء دولة. لم تَنقض أيّاً من الثوابت والمسلّمات، ولم تغيّر طبيعةَ العلاقة التاريخيّة بين مكوّنات المجتمع اللبنانيّ، بل عدّلت بعض قواعد المشاركة في الحكم.

جميع المبادئ الأساسيّة، والقِيَم المعنويّة، التي تشكّلُ موروثاً وطنيّاً جامعاً، وثقافةً تراكميّة محفوظةً في الوعي الجماعيّ، ظلّت المصدرَ المباشر لإستلهام الخِيارات، واستنباطِ العِبارات، وأخذ المواقف، فكان المؤتمر مجالاً لتأكيد الوحدة في الاختلاف، لا مَيداناً للمواجهة وتفجير الخلاف.

مرّة بعد، لا نتطرّقُ إلى تفصيلاتِ الأداء، وطبيعة المناقشات، مركّزين على التعاطي مع الحاليّة المداهمة، التي تنذرُ بتصفية الكيان اللبنانيّ.

الروح والنصّ

من الدارج في الحديث عن اتفاق الطائف استعمال عبارة «نصّاً وروحاً»، فثمّةَ الكلمةُ المكتوبة، والارادة التي أملَتها، أي النيّةُ والقصد. لذلك أبدأُ بالجزم أنّ المجتمعين، بالرّغم من تنوُّعِ الاجتهادات، والتجاذبات العابرة، شكّلوا فريقاً واحداً حول أولويّة مطلقة هي: منعُ سقوط الجمهوريّة اللبنانيّة.

التزاماً لهذا الهدف المركزيِّ الثابت، سأتطرّق إلى صلب الوثيقة، معتمداً منهجيّة مختصرة بالاجابة على سؤالٍ محوريّ مزدوج: ما هي، وما ليست هي: تحت عنوانين أوّليّين: ١- المبادئ العامّة، ٢- الإصلاحات السياسيّة.

أوّلاً- المبادئ العامّة

هذه المبادئ التي وردت في مطلع الوثيقة، أصبحت بحذافيرها مقدّمة للدستور المعدل، مع إضافة «التزام الاعلان العالميّ لحقوق الانسان» على الفقرة «ب»، لدى إقرارها في المجلس النيابي.

إنّ المبادئ الأساسيّة للجمهوريّة في الوثيقة والدستور كليهما، واضحة جازمة، ويفترض أنّها باتت معروفة، لا تحتاج إلى شرح. ومع ذلك فلا ضير في تذكير سريع:

«لبنان وطن سيّد حرّ مستقلّ نهائيّ لجميع أبنائه، واحد أرضاً وشعباً ومؤسّسات».

إذاً، ليس لبنان ولايةً، ولا دويلةً، ليس تابعاً، ولا مرتهناً، ولا موقّتاً، ليس يتيماً يُقهر ولا سائلاً يُنهر. هو غير قابلٍ للتجزئة، أي ليس مؤلّفاً من أحياء مقفلة، ومناطقَ محرّمة، واقطاعات، ولا مجال فيه لفرض أمن ذاتيّ خاصّ مختلف. الشعبُ واحد، أي لا عنصريّة، لا طبقيّة، لا تصنيف، لا فرز، لا تمايز. ثماني عشرة طائفةً ومذهباً متساويةٌ، متكافئة. التعدُّد الثقافيّ إثراء، قيمةٌ وطنيّة مضافة للجميع، على ما يحدّده بهجت رزق في بحوثه المعمّقة حول «الهويّة اللبنانيّة» التي يصفها بأنّها «مُفردٌ وجَمعٌ معاً».(٤)

أكثر ما كان موضعَ تشديد وإلحاح في الطائف، وتضمّنه نصّا الاتفاق والدستور: مسلّماتُ السيادة والحريّة والاستقلال، إلى موضوعات الانتماء العربيّ والالتزام الدوليّ. إلى حماية الهُوِيَّة وصيانة الأرض. قيل: لا توطين، أي لا تبذير في منح الجنسيّة، ولا تقسيم، أي لا تفريط بالوحدة. النظام الديموقراطيّ، البرلمانيّ الحرّ، سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً هو الخِيار المحسوم. فصلُ السلطات وتوازنُها وتعاونُها هو المبدأ، فلا تداخل ولا طغيان، لا إخلال ولا اختلال. لا أرجحيّة ولا استقواء.

شرط الشرعيّة ألاّ تناقض ميثاقَ العيش المشترك، أي ألاّ يستأثر بالسلطة فريقٌ مطيّف، يحمل مشروعاً فئويّاً.

الوطنيّةُ، الحرية، الاستقلال، السيادة، الطموح إلى تجاوز الطائفيّة في دولة مدنيّة، المُثُلُ العُليا جمعاء: أن نؤمنَ بها، لا أن ندّعيها فقط، أن نمارسها ونطبّقها بنزاهة.

ثانياً- الإصلاحات السياسيّة

أ. المناصفة

أرست وثيقة الوفاق قاعدة المناصفة بين المسلمين والمسيحيّين في تولّي السلطة، لكي تشمل مجلس النوّاب، إلى جانب العرف المتّبع في مجلس الوزراء، ووظائف الفئة الأولى. على أن يزاد عدد النوّاب المسلمين تسعة ليصير المجموع مئة وثمانية.

المناصفة هي تأكيد المساواة في المسؤوليّة، وتجسيد المشاركة، شرط صحّة التمثيل. إنّ وحدة اللبنانيّين هي أساس وحدة لبنان، والمشاركة هي ضمان الوحدة: لا شرعيّة لما يفرّق، ولا لمن يتفرّد. لا شرعيّة لمن يستأثر ويفرض. أي سلطة تفعل ذلك تنقض الميثاق، تعتبر غاصبة، بمثابة احتلال خارجيّ: عمليّة قهر، وقسر، وكسر، وأسر. وكما أنّ الاحتلال دعوة إلى المقاومة، فإنّ التعسّف دعوةٌ إلى الثورة.

إنّ إنتاج السلطة في النظام الديموقراطيّ، يفترض ضمان الحريّة المطلقة للشعب في اختيار ممثّليه، فالتمثيل الصحيح هو تعبير عن إرادته الحقيقيّة. المشاركة البنّاءة تكون بين الممثّلين الحقيقيّين، المنخرطين في مشروع الدولة الراعية، العادلة، المؤهّلة لمجاراة طموح أجيالها، وتشريع آفاق المستقبل أمام شبابها.

لذلك، لا يمكن أن تكون المشاركة مجرّد محاصصة، توزيعَ أسلاب وتقاسمَ مغانم.

المسؤوليّة هي محور المشاركة، مجالُها وبُعدُها. المشروع المشترك، البرنامج، هو ركن الشراكة في الحكم. المسؤوليّة مزدوجة: عن القرار والتنفيذ، الالتزام والإلزام.

ب. الصلاحيّات

عدّلت الوثيقة أصول تسيير السلطة الإجرائيّة. نقلت بعض الصلاحيّات من رئيس الجمهوريّة إلى مجلس الوزراء مجتمعاً. من الشخص إلى المؤسّسة مكتملة. لم تأخذ من شخص لتعطي شخصاً. لم تنتزع من طائفة لتمنح طائفة. فلا طائفة للمؤسّسات. رئيس الجمهوريّة مارونيّ، لكنّ الجمهوريّة ليست للموارنة، بل للبنانيّين. رئيس المجلس النيابيّ شيعيّ، لكنّ المجلس ليس للشيعة بل للبنانيّين. رئاسة الحكومة للسنّة، لكنّ الحكومة ليست للسنّة. الوزراء ينتمون إلى طوائف، لكنّ الوزارات ليست للطوائف بل للدولة، والدولة للوطن... وكلّنا للوطن!

ألغت الوثيقة صلاحيّات غير قابلة للممارسة، ولم يسبق أن مارسها أيّ رئيس في لبنان، منذ الاستقلال حتى الطائف، لأنّها تدخل في دساتير الأنظمة الرئاسيّة لا البرلمانيّة. أجهر هنا بأنّي كنت من أكثر الداعين إلى تنزيه رئاسة الجمهوريّة عن الشخصنة، والنأي بها عمّا يورّطها في بازارات، ويجعلها طرفاً في صفقات من أيّ نوع، إيماناً بأنّ الرئيس هو الأوحد للدولة، المقام الأسمى والمرجع الأعلى.

ليس واحداً من ثلاثة، ولا صاحب حصّة في تشكيلة. أي تصنيف للرئيس ضمن مجموعة أو فريق ينتقص الرئاسة، ويشكّل خرقاً ذريعاً للدستور. هو خارج إطار النديّة. أي ليس له ندّ، لا مساوٍ ولا رديف. كلّ محسوبيّة على الرئيس تسيء إلى هالة الرفعة الالزاميّة. إنّه «فوق»، وكلّ محاولة لجعله جزءاً من تركيبة أو بنية «تحتيّة»، تبيّت إساءة مزدوجة، للشخص والموقع، وترتدّ على كرامة الوطن.

إنّ لرئيس الجمهوريّة جميع الصلاحيّات اللازمة لممارسة مهامّه المحدّدة في المادّة ٤٩ من الدستور، فضلاً عن القيام بسائر التصرّفات المبيّنة حتّى المادّة ٦٣.

إنّه الرئيس الوحيد للدولة، رمز وحدتها، مؤتمن على دستورها واستقلالها وسلامة أراضيها. هو القائد الأعلى للقوّات المسلّحة التي تخضع لسلطة مجلس الوزراء.

موقعه فوق الحصص وأكبر منها جميعاً. إنّه صاحب القرار النهائيّ في تأليف أيّ حكومة. ما من قوّة في العالم تلزمه توقيع أيّ اقتراح تشكيلة وزاريّة، لا يقتنع بها، ولا يرى فيها ضماناً أكيداً لمصلحة البلاد العليا. لا يدين بشيء لأحد غير الشعب: إنّه حامل أمانته، أيّاً تكن ظروف ترشيحه وانتخابه. هو هنا، الآن، وحتى آخر دقيقة من ولايته، وحده الرئيس، وهو مسؤول أمام ربّه وشعبه فقط!

استطرد قليلاً لأقول إنّ المادّة ٢٧ من الدستور المعدّلة سنة ١٩٤٧ قد نصّت: «عضو مجلس النوّاب يمثّل الأمّة جمعاء، ولا يجوز أن تربط وكالته بقيد أو شرط من قبل ناخبيه»... فهل يجوز أن تربط الرئاسة بشروط ؟!

يمكن للمكلّفين تأليف الحكومات، أن يرفعوا اقتراحاتهم إليه، أو أن يعتذروا منه. للرئيس وحده أن يوافق أو يمتنع.

هذه أحكام أكيدة لا يصحّ فيها اجتهاد، ولا يسري تعهّد سابق ولاحق!

إنّ توقيع الرئيس ملك مطلق له، لا قيد عليه سوى ضميره، ولا مراجعة له إلاّ لديه.

في توقيع مرسومَي تعيين رئيس الحكومة وتسمية الوزراء، لا شريك لرئيس الدولة، ولا بديل منه.

ضمن هذا السياق، نتوقّف عند الفقرة ١٠ من المادّة ٥٣ من الدستور، التي أعطته حقّ توجيه رسائل إلى مجلس النوّاب.

إنّ الغاية من ذلك هي تمكينه من الاحتكام إلى الشعب، عبر المؤسّسة المفترض أن تمثّله، عند مواجهة صعوبات في الاضطلاع بمسؤوليّاته. فله أن يطلب انعقاد مجلس النوّاب، ليخاطب الأمّة. يصارحها ويدعوها إلى موقف وطنيّ.

رئيس الجمهورية هو الأقوى، بشرعيّته ومشروعه، بصدقه ونزاهته، بإيمانه وثقته، بحكمته وشجاعته، إنّه المسؤول عن احترام الدستور، عن المقدّمة، كلمةً كلمة، وعن الموادّ الخمس والتسعين التي لا تزال معمولاً بها، مادّةً مادة، حتّى آخر تعديلاتها في ٢١ أيلول ١٩٩٠، التي ناط بي مجلس الوزراء وضع

مشروعها، فحرصت على تضمينه أحكام الوثيقة من دون أيّ تغيير في الترقيم.
بالنسبة للّذين يعتبرون أنّ الحكم هو مسألة صلاحيّات، وخصوصاً الذين لم يعايشوا مراحل المعاناة اللبنانيّة، أرجو أن نتذكّر معاً التجارب الآتية:
سنة ١٩٥٢ كان هناك رئيس تاريخيّ انتقلت إليه صلاحيّات المفوّض السامي الرئاسيّة المطلقة، فلم يستطع أن يمارسها، وتنحّى عن الرئاسة بعد ثورة بيضاء، تاركاً أمانة الدستور في أيدٍ أمينة عملت على انتخاب الخلف خلال أربعة أيّام منعاً للفراغ.
سنة ١٩٥٨ كان للبنان رئيس بارز مكتمل الصلاحيّة، والشخصيّة، انتهى عهده بثورة عنيفة، من دون أن يمارس أيّ صلاحيّة فوقيّة، مسلّماً الأمانة إلى خصم سياسيّ أمين!
سنة ١٩٦٠ كان الرئيس قائداً تاريخيّاً، استقال ثمّ رضي البقاء حفاظاً على وحدة الوطن، ولم يمارس أيّاً من الصلاحيّات التي يأسف عليها المنظّرون.
سنة ١٩٦٩، وبالرّغم من تمتّع الرئيس الأكثر ثقافة في تاريخنا بالصلاحيّات، وجد نفسه مضطراً للتهديد بالاستقالة للتوصّل إلى تأليف حكومة.
سنة ١٩٧٣، كان للبنان رئيس فارس، مكتمل الصلاحيّة، قام بمحاولة ممارسة صلاحيّاته، فألّف حكومة أعلنت حال الطوارئ، لكنّه تعامل مع الأمر الواقع بواقعيّة، وجاراه رئيس الحكومة المعيّن، بشهامةٍ مأثورة، مفضّلاً الاستقالة على نيل ثقة منتقصة، كانت مضمونة، وكان نصاب الجلسةُ مكتملاً. ثمّ جُبِه الرئيس الفارس بفتنةٍ وتمرّد. قُصف قصره، فانتقل من بعبدا إلى الكفور، ولم يستعمل ما يسمّى صلاحيّات... لأنّ الجيش الوطنيّ ليس مجموعة انكشاريّة لحماية السلطان!
من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٢ كان ثمّة رئيس نبيل، مكتمل الصلاحيّة، نزف عذاباً وهموماً حتّى الموت، وذاق الأمرّين من دون أن يقدم على أيّ خطوة دراماتيكيّة.
سنة ١٩٨٢ استشهد رئيس الجمهوريّة المنتخب قبل أن يؤدّي قسمه ويتسلّم مهامّه، ربّما لأنّه كان عازماً على استعمال صلاحيّاته!
سنة ١٩٨٨ انتهى عهد الرئيس المكتمل الصلاحيّة، المنتخب بأكثريّة كبيرة، بدون تأمين انتخاب خلف، فاستعمل صلاحيّة إقالة حكومة وتعيين أخرى، فتمزّق البلد بين حكومتين وجيشين، وقامت في كلّ منطقة قيادات وإدارات وأجهزة ودوائر، وسادت شرعة الميليشيات والخوّات والبؤر الأمنيّة، وزواريب النهب والاجرام...
بقيت الرئاسة شاغرة ثلاثة عشر شهراً ونصف الشهر!
ظلّت الرئاسة شاغرة فارغة، والصلاحيّات ضائعة، والناس بين المهاجر والملاجئ، على قارعة الدنيا، ولم تقم محاولة واحدة جدّية واعية مخلصة شريفة لانتخاب رئيس، حتّى كانت العودة من الطائف وانتخاب الرئيس رينه معوّض، واستشهاده بعد سبعة عشر يوماً، في عيد الاستقلال، قبل أن يتمكّن من مباشرة أيّ صلاحيّة!
منذ ذلك الحين، في ظروف معروفة، تعاقب ثلاثة رؤساء، وتمّ تعديل الدستور مرّتين لتمديد الولاية. حصلت تحوّلات، وما زال لبنان يفتّش، لا عن صلاحيّات وهميّة، ولكن عن صحوة وطنيّة، يجسّدها شعب حيّ، ويؤتمن عليها، رجال دولة.
لذلك أرجو، كلّ مرّة يجري فيها حديث عن الصلاحيّات، أن يتمّ تحديد نوعها وكيفيّة تطبيقها ؟!
كما أرجو من كلّ من يطالب بتعديلات وينادي بطائف ٢ ودوحة ٢ و٣ و٤... أن يبيّن ماهيّتها، ويقترح نصوصاً صريحة واضحة!

ج. مجلس الوزراء

تأكيداً للمشاركة ومنعاً للتفرّد، كان اشتراط حضور أكثريّة الثلثين نصاباً لانعقاد مجلس الوزراء، وأكثريةً لاقرار مواضيعَ أساسيّة محدّدة. المشاركة المقصودة هي طائفيّة مختلطة، إسلاميّة ومسيحيّة، وليست سياسيّة بين موالاة ومعارضة. لم يخطر ببال أحد تأليف حكومات أضداد، تنصب متاريس التعطيل داخل مجلس الوزراء... ولا فكّر أحد بثلث معطّل، أو تركيبة مفخّخة، تحت ذرائع وتسميات شتّى. لأنّ أيّاً من الحاضرين لم يتصوّر أنّه سيأتي يوم ينحدر فيه الأداء الوطنيّ إلى هذا الدرك من الحِطّة، ويبلغ الخطاب السياسيّ هذا القعر من الاسفاف، حتّى ليستنفد معاجم السُباب وموسوعات الشتيمة... ولا تخيّل أحد، في أسوأ كوابيس المنام، أنّ المقاعد الوزاريّة والوظائف العامّة تصبح إنعامات وترضيات واعتبارات شخصانيّة!
إنّ تجربة الحكومة المعتبرة مستقيلة، المستندة إلى ما سُمّي «اتفاق الدوحة»، والتي قامت على محاصصة هجينة، وتسويةٍ هشّة، بعد مساومات معيبة، شكّلت نقضاً للمعايير الديموقراطيّة، فمنعت قيام حكم صحيح ومعارضة بنّاءة. ولم تطبّق مقاييس أيّ منظومة قيميّة للعلم والعمل. هذه التجربة

الفاشلة، هي نتيجة مباشرة للتمادي في نقض وثيقة الوفاق الوطنيّ. نذكر ذلك من باب الدلالة التعبيريّة المجرّدة، خارج أيّ اصطفاف سياسيّ.

لذلك، يجب العودة فوراً إلى المبادئ الديموقراطيّة الصحيحة، وتأليف حكومة توحي بالثقة، على أساس مؤهّلات وطنيّة، أخلاقيّة وعلميّة، لمنع المزيد من التشقّق والتهافت في الكيان اللبنانيّ.

د. الكفاءة والاختصاص

من انجازات وثيقة الوفاق التي أصبحت دستوراً، ما ورد في المادّة ٩٥ حول «إلغاء قاعدة التمثيل الطائفيّ واعتماد الكفاءة والاختصاص في الوظائف العامّة... من دون تخصيص أيّ وظيفة لأيّ طائفة».

لقد أوردنا شرطّي «الاختصاص والكفاءة» مرّتين في المادّة نفسها، يقيناً أنّ ما يهمّ المواطن، بالنتيجة، ليس طائفة الموظّف بل أهليّته لتولّي الوظيفة. ولا حاجة للقول إنّ هذه الأحكام لم تطبّق سوى في الحكومة الأولى بعد الطائف، ثمّ، ابتداءً من ١٩٩١ حتّى الآن، أبدلت «الكفاءة والاختصاص» بـ «المذهبيّة والمحسوبيّة».

هـ. إلغاء الطائفيّة

لحظت المادّة ٩٥ من الدستور إنشاء «هيئة وطنيّة لدراسة واقتراح الطرق الكفيلة بإلغاء الطائفيّة».

هنا، وتحاشياً لأيّ التباس، وفي مراجعة دقيقة لنصّ الوثيقة والدستور كليهما، يظهر جليّاً أنّ الهدف الأساسيّ هو «إلغاء الطائفيّة»، وليس «الطائفيّة السياسيّة» فقط، لئلاّ يتحوّل النظام اللبنانيّ من المشاركة إلى إلغاء الآخر. إنّ أهميّة لبنان في قلب المشرق العربيّ والعالم، تكمن في كونه حامل رسالة مسكونيّة، بتركيبته الانسانيّة التي لا مثيل لها ولا بديل منها. وأستطرد لأقول: إنّ العالم كلّه يتطلّع إلى يوم يصبح مجتمعاً حضاريّاً واحداً، يلتزم الاعلان العالميّ لحقوق الانسان، مصدراً أساسيّاً لتشريعاته المدنيّة.

و. الإصلاحات الأخرى

تناولت السلطة القضائيّة واللامركزيّة الإداريّة الموسّعة، والإعلام وقانون الانتخاب والتربية، وكلّها تحتاج إلى عناية فائقة.

* * *

بعد هذه المراجعة السريعة للبنود الأولى من الوثيقة، والتي أدخل بعضها في الدستور، نصل إلى ثلاثة عناوين أساسية:

أوّلاً. بسط سيادة الدولة اللبنانيّة على كامل الأراضي اللبنانيّة

المقصود ببسط السيادة، هو نشر القوّات الذاتيّة للدولة اللبنانيّة على كامل الأراضي اللبنانيّة، كالآتي:

الإعلان عن حلّ جميع الميليشيات اللبنانيّة وغير اللبنانيّة، وتسليم أسلحتها إلى الدولة اللبنانيّة، خلال ستّة أشهر تبدأ بعد التصديق على وثيقة الوفاق الوطنيّ وانتخاب رئيس الجمهوريّة (حصل ذلك في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩) وتشكيل حكومة الوفاق الوطنيّ (جرى في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٩) وإقرار الإصلاحات بصورة دستوريّة (تمّ في ٢١ أيلول ١٩٩٠).

يتبيّن أنّ آخر مهلة لحلّ جميع التنظيمات المسلّحة اللبنانيّة وغير اللبنانيّة وتسليم أسلحتها، كانت في ٢١ آذار ١٩٩١. فتكون مدّة الستة أشهر قد انقضت واحداً وأربعين ضعفاً، من غير تنفيذ!

إن بسط السيادة اللبنانيّة بالقوّات المسلّحة اللبنانيّة، تحت قيادة رئيس الجمهوريّة وسلطة مجلس الوزراء، على آخر حبّة تراب، حتّى الحدود المعترف بها دوليّاً، **هي شرط قيام الدولة الفعليّة في لبنان**. وسيظلّ وجودها معلّقاً ما دامت عاجزة عن القيام بذلك أو متردّدة فيه.

أمّا **التهجير** الذي شمل مئات الألوف من الشعب اللبنانيّ، وخلّف جراحاً لم تندمل بعد، فيجب أن ينتهي، وفقاً للوثيقة، بتأمين عودة أهلنا إلى جميع القرى في مختلف المناطق، خصوصاً الجبل.

وعلى الدولة إنجاز المصالحات وتأمين التعويضات، وتطمين المواطنين إلى سلامتهم، بتأكيد حضورها وبسط سيادتها، لتمكين المواطنين من استعمال حقهم في ملكيّتهم الخاصّة. وحده وجود الدولة يضمن الحقّ وسلامة أصحابه وكرامتهم.

ثانياً. تحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيليّ

تحت هذا العنوان أوردت الوثيقة ثلاثة بنود:

أ. تنفيذ القرار ٤٢٥ وسائر قرارات مجلس الأمن الدوليّ القاضية بإزالة الاحتلال الإسرائيليّ إزالة شاملة.

إن القرار ٤٢٥ قد نُفّذ، وتمّ الانسحاب الإسرائيلي بفضل المقاومة والصمود. وأُقيم خطّ أزرق على الحدود الجنوبيّة بإشراف الأمم المتحدة.

لكن لا يزال لبنان يطالب بأراضٍ في مزارع شبعا ومرتفعات كفرشوبا وقرية الغجر. وله الحقّ المقدّس باللجوء إلى أيّ وسيلة متاحة لتحريرها.

ب. التمسّك باتفاقيّة الهدنة الموقّعة (في الناقورة) في ٢٣ آذار ١٩٤٩.

ج. اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحرير جميع الأراضي اللبنانيّة من الاحتلال الإسرائيليّ ونشر الجيش اللبنانيّ في منطقة الحدود اللبنانيّة المعترف بها دوليّاً، والعمل على تدعيم وجود قوّات الطوارئ الدوليّة...

لقد حلّ واقع جديد بعد صدور عدّة قرارات دوليّة حول الموضوع، لكنّ مطلب انسحاب إسرائيل وعودة الأمن والاستقرار إلى الجنوب، قائم ومستمرّ.

ثالثاً. العلاقات اللبنانيّة- السوريّة

أكّدت وثيقة الوفاق طبيعة العلاقات الأخويّة المميّزة بين لبنان وسوريا، ووجوب تنظيمها بما يضمن مصالحهما المشتركة في إطار سيادة واستقلال كلّ منهما.

إنّ إقامة علاقات سليمة بين البلدين مطلب ملحّ، فلا تُنتَقَصُ سيادة، ولا يُهدّد أمن، بل يسود تعاون مخلص بنّاء وتبادل متكافئ واحترام متبادل، في نوع من «الجوار المصطفى»، هو، في الوقت نفسه، قدرٌ جغرافيٌّ وخِيارٌ حرّ.

المصالحة والوفاق

لقد اختار مؤتمر الطائف «الوفاق الوطنيّ» عنواناً للوثيقة التي أقرّها، وجعل «المصالحة» هدفاً أوليّاً.

أكثر ما تكون حاجة لبنان اليوم إلى أهله. فهو إمّا أن يكون كلّه لهم جميعاً، وإمّا أن لا يبقى منه شيء لأحد.

في الطائف، وكلّ مَحْفِلٍ، على مدى عقودٍ، ظلَّ لبنانيّون مخلصون، يعملون من أجل الوطن.

إنّه، على صِغَرِه، يتّسع لهم متحابّين؛ بينما الدنيا كلّها، على وسعها، تضيق بهم متنافرين متباغضين، متحاسدين متنازعين.

لقد عشنا في عزّ لبنان ونعمته، آمنّا به وطناً ورسالة، واحداً أرضاً وشعباً ومؤسّسات، وبأنّ في شعبنا موروثاً مخزوناً عجباً، نفاخرُ به، يستحقُّ أن نحيا من أجله ونموت في سبيله.

لا يمكننا الادّعاءُ أنّ وثيقة الوفاق الوطنيّ كانت كاملة، ولا أنّها الفضلى على الأيّام، فثمّة شوائب نعرفها، وثغراتٌ لا ننكرها، لكنّها خير ما نعود إليه في هذه المرحلة من معاناتنا الوطنيّة.

لذلك

نخلص إلى توجيه دعوة حارّة للمعنيّين بتأليف حكومة جديدة للبنان، أن يتباروا في البذل والتضحية، لأنّ الانسان لا يملك إلاّ ما يعطيه. فباطلة الرئاسات والوزارات والمراكز والألقاب والرتب والثروات والممتلكات، وعظيمة هي روح المسؤوليّة، وبناء الأوطان.

لقد سمعتُ كثيرين من القادة والسياسيّين يطالبون بتطبيق اتّفاق الطائف، وثيقة الوفاق الشريف والمصالحة التي لا تستثني أحداً، صكّ السيادة والحريّة والاستقلال، عهد الحياة وعقد الشراكة.

فلتكن لدينا شجاعة الايمان لتوطيد الوحدة الوطنيّة، وليبادر الجميع إلى حمل مسؤوليّة الانقاذ، بتبنّي بيان وزاريّ من بند واحد: تنفيذ وثيقة الوفاق الوطنيّ روحاً ونصّاً!

محاضرة في بيت المحامي- بيروت، في ١٦ شباط ٢٠١١.

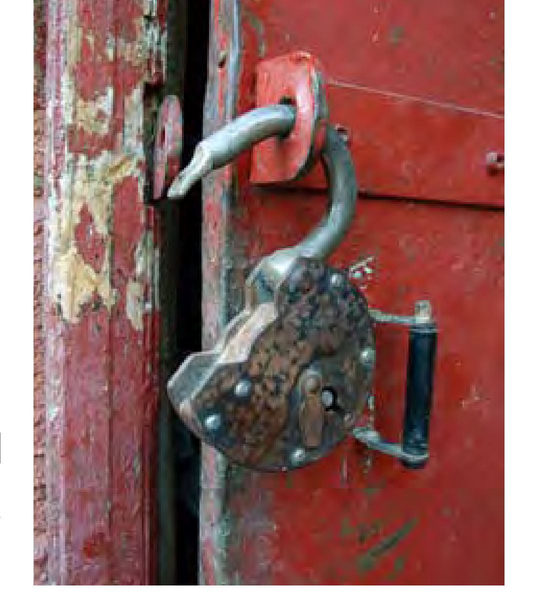
(١) أوّل أيلول ١٩٢٠.

(٢) اتفاقيّة لبنان مع الأونسكو ٥ تشرين الثاني ١٩٧٣

(٣) من ٣٠ أيلول ١٩٨٩ إلى ٢٢ تشرين الأوّل ١٩٨٩

(٤) Bahjat RIZK: l'identité pluriculturelle libanaise ID l livre Paris 2001



الرّياحُ تعصفُ بالأبواب

جورج مغامس

أيَّ لبنانَ نريد؟
هذا السّؤالُ يقلقُنا منذ أمدٍ بعيد. الإجاباتُ كثيرة. وكثيرةٌ أيضًا التّقاطعاتُ فيها. لكنّ تظهيرَها في رؤيا وطنيّةٍ واحدةٍ جامعةٍ مطّردةِ الدّيناميّةِ والمفاعيل، لم يكنْ، ولن، أمرًا يسيرًا؛ لأنّ لبنانَ، فضلاً عمّا هو عليه من مشاربَ دينيّةٍ مذهبيّةٍ وثقافيّةٍ تراثيّة، هو في مهبِّ فَلْقِ الزّلازلِ الإقليميّةِ، منذ ما قبلَ ما كانَ بين جلجلةٍ وكربلاءَ وإلى يومِنا هذا.. يومِ صَريفِ الأسنانِ من المحيطِ إلى الخليج،.. وما مِن مناعاتٍ بَعدُ دونَها لا في جسدِه ولا في روحِه!

إذًا، نحن في امتحانِ المحنِ، على الدّوام؟!
نعم. هذا قدَرٌ. ولكنْ، هل كالأقدارِ ما يستدعي التّحدّيات؟! وهل تكونُ تحدّياتٌ، ولا يكونُ حلمٌ وعزمٌ وإنجازات؟!

لبنان هو حيثُ هو في التّاريخِ والجغرافيا. كانَ. يبقى. يدوم. وليس لنا، في حيِّزِ هذه الحتميّةِ، إلاّ الصّبرُ والجهاد؛ وهما، وفي ما وراءَ ما يبدو من وهلةٍ أُولى، في صُلبِ الحلمِ الصَّلبِ، الّذي من تمرّسٍ في الخلقِ والإبداع، ومن طبيعةِ جبالِنا.. شرفاتِ الوحيِ والإلهام. ولعلّنا، بما خَبِرْنا ولمّا نَزلْ، نُوفي إلى بابِ فرجٍ قريب، مفتاحُه العِبرُ الرّشيدةُ وصيغةٌ حكيمةٌ تُنـزلُ على الرّبوعِ أعيادَ الرّبيع!

بلى. يُجدي جدًّا أنّنا نَعي ما نحن عليه من قَدَرٍ، ولكنْ من قُدرةٍ قَدَريّةٍ أيضًا، وقد تُرى عنايةً إلهيّةً، في حفظِ وجودِنا وتأكيدِه بدورٍ ورسالةٍ وقداسات...

إنّ وطنًا أزهرتْ جراحُه أرجوانًا وأبجديّةً وشرائعَ وعاملَ وقنّوبين..، لن يُعدَمَ فرصةَ اجتراحِ أحلامِه الجديدةِ في الحرّيّةِ والكرامةِ وعزّةِ العيشِ الرّضيّ. وإنّ الأرحامَ لا تُعطي الحياةَ إلاّ بالمخاضات!

أنا أؤمنُ، أؤمنُ حقًّا أنّ الوطنَ الحلمَ يتحقّق. ولذلك، أُنجبُ وأَكتبُ وأُنتجُ وأُشيعُ فرحَ الرّجاء..، ولستُ وحيدًا. لستُ الوحيد.

إنّ القياميّين كثرةٌ كثيرةٌ وتريدُ الوطنَ الحلمَ، وطنَ الفراداتِ والمفرداتِ المضيئةِ؛ وما من جاهليّين أو خوارجَ أو زنادقةٍ ومرتزقةٍ وسِيمونيّين يحولون دون يومِ التّجلّي. إنّه آتٍ في عينِ نسرٍ لم يحدّقْ إلاّ إلى الشّمسِ وخلودِ الأرز، وفي حناجرِ الشّبابِ الأنقياء!

وبالإصرارِ يكون الانتصار...

فحقٌّ هو القولُ: حيثُ تكثرُ الخطيئةُ تكثرُ النّعمة؛ وقياسًا: الشّكُّ واليقين! فثَمَّ أنّيَ حقًّا من آلِ اليقين.

وفي اليقينِ اليقينِ أَنَّ مهازلَ المآسي إلى انتهاءٍ، وأَنَّ النّهضةَ قوّامةٌ على الحِطّة،.. وأَنّ «وطنًا إلهيًّا» يدُ اللهِ معه وتُجازي بالعدلِ «كلَّ الشّياطين»؛ ولن يطولَ الانتظار!

أَلا إنّ الريّاحَ الرّياحَ تَعصِفُ بالأبواب.



د. لويس حبيقة



الخريطة العقاريّة والاستقرار الاجتماعيّ

ما جرى ويجري في تونس ومصر وليبيا والبحرين والجزائر والأردن واليمن وغيرها مهمّ جدًّا، ويدلّ على حيويّة الشعوب العربيّة ورغبتها في الحصول على حقوق أساسيّة بديهيّة متوافرة للأكثريّة الساحقة من شعوب العالم. ما يجري سيساهم في تعلّق العربيّ أكثر بأرضه إذ سيشعر منذ اليوم أنّ لهذه المنطقة مستقبلاً بعد عقود من النزف البشريّ والماديّ. العربيّ يهاجر بل يرغب ويفكّر بالهجرة ليس فقط بسبب الحاجة الماديّة، وإنّما وخاصّة بسبب الحاجات الانسانيّة المفقودة المرتبطة بالحقوق والحريّات والاحترام. غادر ويغادر الملايين من سكّان المنطقة إلى الغرب للعيش والعمل، هربًا من الظلم ويأسًا من المستقبل. كذلك غادرت آلاف مليارات الدولارات المنطقة، ليس لأنّ المناطق الأخرى أربح، بل لأنّها تنعم بأبسط الحقوق الانسانيّة المكتوبة في الكتب المقدّسة. غادرت هذه المليارات المنطقة لعدم الثقة في مستقبل الاقتصادات العربيّة، ولأنّها تخاف من التقلّبات الكبرى والمخاطر السياسيّة المرتفعة. منذ اليوم، هنالك ظروف جديدة، لا بدّ من أن تنعكس تدريجيًّا وإيجابًا على أوضاع كلّ الدول العربيّة، حتّى داخل التي لم تعرف الانتفاضات بعد بل تشتاق إليها.

من أبسط الحقوق الانسانيّة لأيّ مواطن إمكانيّة استئجار أو شراء مسكن مناسب له ولعائلته؛ وهذا صعب المنال في كلّ الأقطار العربيّة، وفي مقدّمها لبنان. مستوى الأسعار يفوق مستوى الدخل؛ وهنا تكمن المشكلة. ما الحلّ؟ الهجرة أم العيش في الظلم والظلام؟ من هي الدول العربيّة التي فيها سياسات إسكانيّة كالتي تنفّذ في معظم الدول النامية والمتطوّرة؟ إنّ دراسة فعاليّة وشفافيّة السوق العقاريّة مهمّة جدًّا لمساهمة القطاع في محاربة الفقر، ولكونها عاملاً أساسيًّا من عوامل التنمية الاجتماعيّة الوطنيّة. هنالك إحصائيّات تشير إلى أنّ قيمة الأصول العقاريّة من أرض ومبان تصل إلى ما بين ٤٥ و٧٥٪ من الثروة في الدول النامية. لا يمكن للأسواق العقاريّة أن تنتظم من دون تدخّل القطاع العامّ المؤسّساتيّ والقانونيّ والإجرائيّ والقضائيّ. تكمن أهميّة الأصول العقاريّة في أنّها في نفس الوقت عامل إنتاج في مختلف القطاعات وخاصّة الزراعة، وعامل استهلاك كالشقق للسكن والبنية التحتيّة كسلع عامّة.

هنالك ترابط قويّ وكبير بين السوق العقاريّة الوطنيّة والأسواق العالميّة. هنالك عوامل مشتركة تحرّكها جميعها، وهي العولمة والتقلّبات الاقتصاديّة والماليّة. وبالرّغم من أنّ العوامل الداخليّة تبقى الأهمّ، فإنّ العوامل الخارجيّة المشتركة تبقى مؤثّرة، ما يشير إلى ضرورة التنويع الجغرافيّ للاستثمارات العقاريّة تخفيفًا من المخاطر. هنالك سياسات يمكن أن تطبّق في لبنان فتخفّف التقلّبات في الأسواق العقاريّة، منها ما يبني الاستقرارَين الاقتصاديّ والماليّ ونعني تحديدًا معالجة مشكلتَي العجز الماليّ والدين العامّ كما تطوير القطاعَين الزراعيّ والصناعيّ. كيف يمكن لدولة أن تستمرّ من دون موازنات مُقرّة ومن دون تنفيذ قطع الحساب للسنوات الماضية؟ مع الحكومة الجديدة، لا بدّ من إيجاد مخارج علميّة وواقعيّة لهذه النواقص. يجب التنبّه لسياسات الإقراض المصرفيّ عبر الرقابة الدوريّة والجديّة. فالرقابة اللبنانيّة بالتعاون مع المصارف التجاريّة تبقى فاعلة، لكنّ الطمع يمكن أن يؤدّي أحيانًا إلى التهوّر، وهذا ما حصل في أعرق الدول مصرفيًّا كسويسرا وإيسلاندا وأيرلندا. يجب تأمين الشفافية في الأسواق العقاريّة من ناحيتَي العرض والطلب وبالتالي الأسعار. يجب أن تتوافر للجميع وعلنًا الإحصائيّات الدقيقة والسريعة والكاملة عن القطاع العقاريّ كعدد الشقق والمحلاّت التجاريّة المبنيّة والفارغة كما معدّل الأسعار.

هنالك من يتباهى في لبنان بأنّ أسعار العقارات ارتفعت إلى حدود قصوى تفوق بعض أسعار باريس ونيويورك وغيرهما من المدن الكبرى. يجب أن نقارن ذلك بمستوى الدخل؛ فهل الدخل الفرديّ اللبنانيّ يساوي الدخل الفرديّ الأميركيّ أو الفرنسيّ؟ هنا يكمن الخلل والذي يدفع بالشباب والشابّات إلى الهجرة آملين في الحصول على مسكن عندما يعودون، هذا إذا عادوا.

يجب أن نكون أيضًا حذرين جدًا عندما ترتفع الأسعار العقاريّة بشكل كبير وسريع كما يحصل في لبنان خاصّة في بعض الأماكن، إذ عندها تزداد إمكانيّة الهبوط البطيء كما السريع. إنّ مصادر الأزمات الماليّة الدوليّة والإقليميّة كانت عقاريّة. تكمن أهميّة العقارات في ترابطها القويّ بمعظم القطاعات الأخرى بما فيها الخدمات. هنالك مثل يقول بـ«أن انتعاش القطاع العقاريّ يؤدّي إلى انتعاش كلّ الاقتصاد» وهذا صحيح. هبوط سعر العقارات يدوم طويلاً، كما يتبيّن من التجربة الأميركيّة والدوليّة. هنالك شروط لتطوير الأسواق العقاريّة في كلّ الدول، منها إصلاح المؤسّسات التي تتعاطى بالشؤون العقاريّة تأمينًا لسهولة تسجيل الملكيّة وعقود الإيجار كما لتوفير المعلومات وتنفيذ كلّ العقود. يجب إصلاح وتطوير أسواق المال، تسهيلاً لتمويل شراء العقارات بأسعار مقبولة، خاصّة للطبقات الوسطى والفقيرة. يجب أيضًا إصلاح قوانين السوق والمنافسة بحيث تعكس الأسعار القيمة الحقيقيّة للسلع والخدمات المرتبطة بالقطاع العقاريّ. بالاضافة إلى مخاطر أسعار الفوائد والسيولة، هنالك معياران مهمّان بشأن سلامة الإقراض العقاريّ وخاصّة الشقق السكنيّة، وهي نسبة القرض من قيمة الأصول ونسبة القسط الشهريّ أو السنويّ من الدخل الفرديّ أو الأسريّ.

في لبنان، لا بدّ من القول بأنّ الأسعار مرتفعة بكافّة المعايير، وتفوق كثيرًا الإمكانيّات الماديّة كالدخل الفرديّ، وذلك مقارنةً بالدول الأخرى. تبعًا لـ Global Property Guide ارتفعت أسعار المسكن في وسط بيروت في الربع الثاني من سنة ٢٠٠٩ بنسبة ٤٠،٧٪، ما يشير إلى ارتفاع غير مبرّر للأسعار في ظروف سياسيّة متقلّبة عامّة. هنالك جمود حاليّ في الطلب، ليس فقط ارتباطًا بالوضع الداخليّ، وإنّما أيضًا بالوضع الإقليميّ المتعثّر والدوليّ المتأزّم منذ سنة ٢٠٠٧. هنالك ارتفاع في عرض الشقق والمكاتب والمحلاّت التجاريّة، وهذه حلقة طبيعيّة تنتج عن ارتفاع الأسعار. لذا، نتوقّع انخفاضًا تدريجيًا في أسعار العقارات وخاصّة الشقق السكنيّة، وليس هبوطًا كبيرًا كما حصل في الغرب. سيبقى هامش الربح للمستثمرين كبيرًا، وذلك آخذين في الاعتبار سعر الأرض وتكلفة الرخص والإنشاء. سيتحقّق نوع من التوازن بين الأسعار والإمكانيّات، هو مفيدٌ في نفس الوقت للعارضين وأصحاب الطلب وللأجيال المستقبليّة. لن تستقرّ السوق العقاريّة اللبنانيّة إلاّ بعد أن تعمد الدولة إلى تحقيق المطالب التالية:

أوّلاً: تطوير طرق وأدوات التمويل، وخلق سوق ثانويّة تسهيلاً للشراء والتبادل الماليّ. هنالك مشروع قانون لتطوير السوق الماليّة اللبنانيّة موجود في مجلس النوّاب، يجب تحديثه والتصويت عليه في أقرب مناسبة بعد تشكيل الحكومة الجديدة.

ثانيًا: يجب بناء شقق سكنيّة ذات مساحات متوسّطة وصغيرة أي ما دون ١٠٠ متر مربّع كي تستطيع الأجيال الجديدة شراء أو استئجار مسكن وعدم الهجرة هربًا من الوضع وتأمينًا للمعيشة. لا بدّ من تعديل بعض جوانب العقليّة اللبنانيّة بحيث تتحوّل، كما الأوروبيّة والأميركيّة، إلى طلب المساحات المتوسّطة والصغيرة والتي لا حلّ من دونها.

ثالثًا: لا بدّ من تغيير قانون الإيجارات باتجاه تعديل سنويّ لقيمة الإيجار بنسبة ٥٠٪ من نسبة غلاء المعيشة للمقيم، عبر مؤشّر علميّ لأسعار الاستهلاك. فالقانون القديم المرتكز على ثبات الإيجار كان ظالمًا جدًا للمالك؛ والقانون الحاليّ المبنيّ على عقود ٣ سنوات ظالم خاصّة لمستأجر المسكن، وبالتالي نحتاج إلى قانون جديد.

رابعًا: لا بدّ من التأمّل كثيرًا من شبكات الطرق والجسور التي تنشأ حاليًا في لبنان، وخاصّة على مداخل بيروت، فهي ستساهم في رفع الطلب على العقارات البعيدة عن بيروت أو خارج «بيروت الكبرى»؛ وبالتالي من يشتري هنالك يربح. هنالك تغيّرات كبيرة قادمة بشأن الخريطة العقاريّة باتجاه توزيع السكن على المناطق. فالاكتظاظ السكّانيّ في المدن لم يعد جاذبًا بسبب التلوّث وزحمة السير والأسعار والنوعيّة وغيرها.







د. جورج أبو جودة

حرائق الغابات والوضع البيئيّ في لبنان

تعاني غابات بلدان البحر المتوسّط من مشاكل جمّة، تُعتبر الحرائق أهمّها. فهي السبب الأساس في القضاء على المساحات الخضراء، ممّا يؤدّي إوبالتالي في كوارث بيئيّة وبشريّة واقتصاديّة كبيرة. ولا يختلف الوضع في لبنان كثيرًا، إذ تندلع الحرائق في غاباته فتقضي على ما تبقّى من الثروة الحرجيّة، وبالأخصّ بين تمّوز وتشرين من كلّ سنة. وبالرّغم من ضآلة المعلومات الدقيقة عنها، فأنّ الموجود منها يعطي فكرة عن حجم مشكلة حرائق الغابات عندنا ومدى خطورتها وجديّتها.

تُقدّر الإحصائيّات المتوفّرة مساحة الغابات بحوالى ٧٪ من المساحة الإجماليّة للأراضي اللبنانيّة. وهذه المساحة هي في تناقص مستمرّ خصوصًا بسبب الحرائق، وكذلك التلوّث واجتياح الامتداد العمرانيّ العشوائيّ. غير أنّ المعلومات المتوفّرة حاليًا لا تدلّ بوضوح على وتيرة التدهور في وضع الغابات، مع العلم أنّ هناك تقديرات تقول بأنّ الحرائق تلتهم أكثر من ١٥٠٠ هكتار في السنة، وهذا رقم كبير وخطير نظرًا إلى ضآلة مساحة الغابات عندنا.

أمّا أسباب الحرائق فيمكن تقسيمها إلى فئتين أساسيّتين: طبيعيّة وغير طبيعيّة. فمن العوامل الطبيعيّة الأبرز العواصف الرعديّة، وخاصّة في المناطق الجبليّة؛ ثمّ انبعاث الغازات من الأعشاب اليابسة بعد هطول أوّل مطرة... أمّا الأسباب غير الطبيعيّة فكثيرة ومتشعّبة جدًّا إذ للإنسان يدٌ فيها طُولى بوعي أو بدون وعي بالجزء الأكبر، فيُعتبر المدمِّر الأوّل للبيئة والطبيعة إجمالاً.

أمّا آثار الحرائق المدمّرة فيمكن تحديدها كما يلي:

١) اختلال التوازن البيئيّ، إذ أنّ الأشجار تساعد على تخزين المياه الجوفيّة، لأنّها تتلقّى المياه الغزيرة بأوراقها وأغصانها لتتساقط من ثمّ على الأرض ببطء مصطدمة بطبقة كثيفة من الأوراق اليابسة التي بدورها تبطّئ سرعة المياه قبل أن تتسرّب إلى جوف الأرض عبر الممرّات التي تكون أحدثتها الجذور. لذلك عندما تحترق الأشجار، تقع المياه على التراب بغزارة وتجرب عبر الأنهار جارفة معها ما تيسّر من قشرة التراب الزراعيّ، مما يجعل نموّ الأشجار في المناطق المحروقة مستحيلاً.

٢) احتراق الغابات يزيد الحرارة ويؤدّي إلى الجفاف وانخفاض نسبة الأمطار.

٣) تنتج عن الحرائق تغييرات جذريّة في توزيع النباتات، فتموت أنواع كثيرة وتنمو أنواع أخرى.

٤) تلوّث الهواء والتأثير على صحّة الإنسان، بحيث ينتج عن الحرائق كثير من الموادّ الكيماويّة، ومنها السامّة التي تؤثّر على الإنسان والنباتات والأشجار أيضًا.

٥) تأثيرات اقتصاديّة: تؤدّي الحرائق إلى خسارة موارد الغابات الطبيعيّة، وبالتالي إلى خسارة السياحة البيئيّة والتنوّع البيولوجيّ والجمالي، ما ينعكس سلبًا على الناحية الاقتصاديّة.

ومن ناحية مكافحة الحرائق، فإنّ المديريّة العامّة للدفاع المدنيّ هي الجهاز الرسميّ المسؤول عن هذا الأمر. وهو يقوم بجهود جبّارة في هذا المجال، ولديه الجهوزيّة التامّة. غير أنّ إمكانيّاته محدودة إن من الناحية الماديّة أو البشريّة. وعلى ما يبدو، فإنّ هناك خطّة متكاملة لمكافحة حرائق الغابات، كانت وضعتها لجنة خاصّة بموجب قرار صدر في سنة ١٩٨٣، يمكن الرجوع إليها والعمل على تنفيذها بالتنسيق بين مختلف الأجهزة المعنيّة؛ وإنّ هذا الأمر ضروريّ جدًّا. وللمجتمع الأهليّ دور في هذا العمل الوطنيّ المهمّ. وهنا أودّ أن أذكر أنّ التجمّع اللبنانيّ لحماية البيئة، ومن خلال الجمعيّات البيئيّة من أعضائه الـ ٤٦ التي لديها الخبرة والقدرات في هذا المجال، يسعى للمساهمة في هذه الجهود بالإضافة إلى مساهماته في مجالات بيئيّة أخرى. فالهدف الأسمى الذي يجب أن نسعى إليه جميعًا هو الوصول مستقبلاً إلى إرجاع نسبة الـ ٢٠٪ من الغطاء الأخضر، التي كانت موجودة في لبنان في الستينات. وهذه النسبة مطلوبة لدول حوض البحر الأبيض المتوسّط من أجل إيجاد توازن بيئيّ بين جميع أوجه استعمالات الأراضي للمحافظة على الثروات الطبيعيّة بصورة دائمة، وللإبقاء على محيط طبيعيّ صالح لحياة الإنسان وسائر الكائنات.





الحدّادون الأربعة

من خبايا التراث القصصيّ القديم

نقلها إلى العربيّة:
د. أنطوان يوسف صفير

غابَ النهار وأسدل المساء وشاحه فوق مدينة أورشليم، وراحت أغصان شجر الزيتون تتهادى مع نسيمات العشيّة وقد تهدّلت ناعمةَ الملمَس فوق البيوت المطليّة بالكلس وعبر الأزقّة والدروب.

لم يكن الخبر بعدُ قد ذاع في المدينة: لقد ساق العَسَسُ أحد الرجال إلى المحكمة وأنزل القضاة به حكم الموت. كان اسم الرجل يسوع ابن مريم. اتُّهم بتأجيج الثورة ضدّ الرومان الذين يحتلّون بلاده فلسطين.

ألم يكن يدّعي أنّ الناس جميعهم إخوة وأنّ العبد مساوٍ لسيّده؟ مثل هذه النظريّة لم تكن لتروق لرؤساء الكهنة والأثرياء كما للرومان المحتلّين.

وكان أن أُوقف يسوع بن مريم وصدر الحكم عليه؛ ومع الغداة عند الفجر سوف يُعلّق على الصليب. أودعوه سجنًا ضيّقًا ينتظر فيه ساعة العذاب والصلْب. رئيس الحرس أَوكل إلى جنديين أن يتدبّرا أمرهما ويأتياه بأربعة مسامير ضروريّة لتنفيذ عمليّة الصلب: اثنان يُغرزان في يدَي المصلوب واثنان آخران في رجليه، ونقدهما أربعة دراهم ثمن هذه المسامير.

وكان يعيش في أورشليم حدّادون أربعة من أصل عجميّ، هاجر أجدادهم من بلاد فارس هربًا من اضطهاد حكّامهم الأثرياء. وبعد أن طوّفوا في البلدان زمنًا طويلاً، حطّ بعضهم الرحال في أرض فلسطين، ومع الزمن تبنّت سلالتهم طريقة عيش الفلسطينيّين وتقاليدهم وديانتهم. وكان الحدّاد الأوّل إيليازار يسكن على مقربةٍ من السجن، وكان الجنديّان يسمعان صدى ضربات مطرقته على السندان، فقصدا حانوته. وفيما هما يمرّان بمحاذاة حانة صغيرة، اشتهيا احتساء كأس من النبيذ اليونانيّ الذائع الصيت زمنَ ذاك في تلك المدينة، فدخلا وجلسا إلى طاولة وطلبا أن يُخدما.. وهكذا أنفقا درهمين.

ولمّا لم يكن لديهما مال دفعا الدرهمين من المبلغ الذي إئتمنا عليه لابتياع المسامير.

وكان أن دخلا على إيليازار:

– «مرحبًا أيّها الرجل! نريد منك أن تصنع لنا أربعة مسامير بطول السّبابة وبعرض الإبهام».

قال الحدّاد: «أمرًا وطاعة! غدًا صباحًا تكون المسامير جاهزة».

– «نريد المسامير للتوّ. لقد وعدنا بتسليمها هذا المساء بالذات».

– «وهل هناك ما يدعو لهذه العجلة؟».

– «نعم بالتأكيد! ذاك أنّه في الغد الباكرِ وقبل طلوع الضوء سوف يَصلب اليهودُ رجلاً على الجبل».

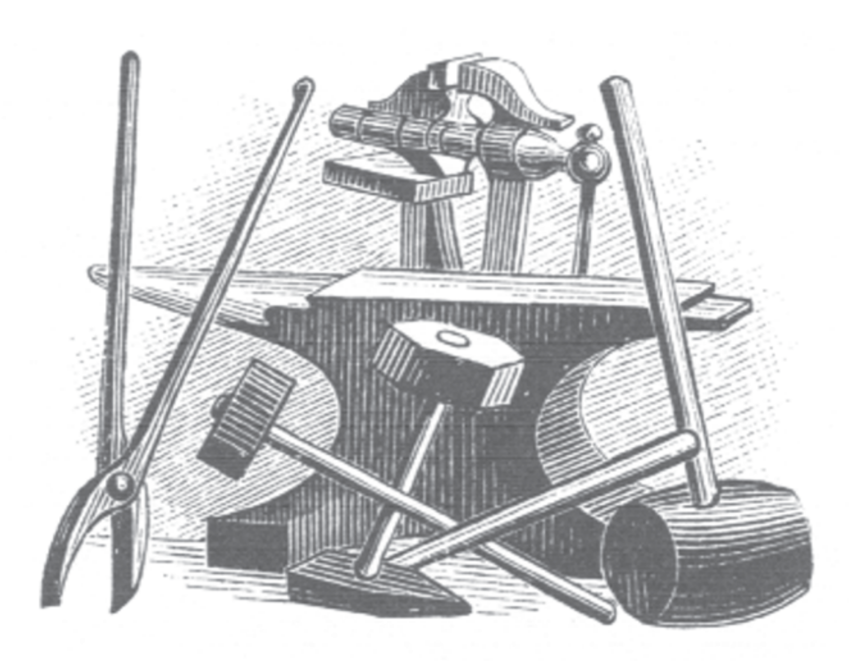
رمى إيليازار مطرقته فوق السندان. لقد كان حدّادًا عجوزًا حنطيّ البشرة، أبيض الشعر. وكان من عادته أن يفكّر مليّا في كلّ أمر يستجدّ قبل الإقدام عليه. قال إيليازار: «وأيّ ذنب اقترف هذا المسكين حتّى يستحقّ الموت؟»

واحتار الجنديّان في أمر الجواب. وانبرى أكبرهما سنًّا وقال: «بَه!.. لقد أساء في الكلام بحقّ الإمبراطور ملكنا، وادّعى أنّه ابن الله وأنّه ملك اليهود».

– واسمه.. هل تعرف؟

– يسوع بن مريم.

وانتفض إيليازار. هذا الرجل، ذات صباح مرّ ماشيًا أمام حانوته. كان يسير حافي القدمين. ثوبه يكسوه الغبار.. نظر إلى



إيليازار مبتسمًا وفي عينيه الواسعتين يلمع بريق الأُنس والمودّة. «إلى أين أنت ذاهب؟» سأله الحرفيُّ العجوز. أجاب الرجل: «أنا أتجوّلُ بين الجموع. أنا ابن مريم، آتٍ لأتحدّث مع الناس ذوي الإرادة الصالحة».

قال إيليازار، وقد تذكّر أجداده الذين طوّفوا في أرجاء المعمورة- «إذًا، أنت تحمل الهويّة ذاتها». وكرّر يسوع جوابه مؤكّدًا: «نعم، أنا من جنسيّتك، إن كنت إنسانًا من ذوي الإرادة الصالحة».

رفضَ الحدّاد النقود التي قدّمها له أحد الجنديّين.

- «لا! لا! أنا أرفضُ أن أصنع لك مسامير لصلب يسوع بن مريم».

وفي الحال امتشق الجنديان سيفيهما مهدِّدين إيليازار؛ غير أنّ إيليازار هزّ برأسه: «لن أصنع لكما هذه المسامير!».

عندها بادر الجنديّان الرومانيّان فسدّدا طعنةً في قلب إيليازار فخرّ صريعًا أمام سندانه. وكان الليلُ قد خيّم حين غادر الجنديّان حانوت الحدّاد، وقصدا دكّانة أندوخ في الحيّ الآخر القريب. وكان لأندوخ زوجة واثنا عشر ولدًا. في ذلك المساء، وبينما كانت الأمّ تهتمُّ بطفلها الرضيع داخل البيت، اقتعد الأولادُ الأحد عشر الباقون عتبة البيت طلبًا لنسمة هواء. وكان الحدّاد قد استنفد جهده لتأمين لقمة العيش لهم بالسهر الطويل والنهوض المبكر إلى مهنته الشاقّة. كان الأولاد هؤلاء يرتدون الأثمال، وغالبًا ما كان الجوع يدفع بهم إلى سرقة بعض الطعام. وكان أندوخ يجهد في تربيّتهم، ولا ينثني عن مواصلة العمل حتّى ولو كان منهكًا من التعب حتّى الموت.

استمع الحدّاد إلى الجنديّين ووعدهما بتلبية طلبهما حالاً؛ ولمعرفة نوعيّة المسامير المتوجّب صنعها، سأل الجنديّين عن الغاية من استعمال هذه المسامير، فأجابه أحدهما: «.. يريدون تسمير يسوع بن مريم على الصليب، لأنّه يرفض الخضوع لأوامر روما ويشهّر بمعلّمي الشريعة الذين يأكلون أموال الأرامل، وهم كالقبور المكلّسة يمشي عليها الناس ولا يعلمون. وأردف أندوخ قائلاً: «هذا الاسم يعني لي شيئًا، غير أنّي لا أعرف هذا الرجل». وصاح الصغار صارخين: «نحن نعرفه.. نحن نعرفه يا أبي!».

وانبرت الابنة البكر ولها من العمر اثنتا عشرة سنة، وقالت: «يسوع هذا كان يجلس على درجات الهيكل، وكنت وأخوتي نحاول مرارًا أن نراه ونلمس أطراف ثوبه؛ لكنّ الجموع كانت تُبعدنا بحجّة أنّ ثيابنا رثّة وسخة. يومها، أذكر، قال يسوع: «دعوا الأطفال الصغار يأتون إليّ، وأخذ أكفّنا بين يديه وأعطانا رغيف الخبز التي كانت بين يديه».

وظلّ أندوخ صامتًا، ثمّ قال: «لا يمكنني صنع هذه المسامير كي يُصلب بها إنسان يحبُّ هؤلاء الصغار. هذا يقتسم خبزه مع الفقراء والغرباء مثلنا. إنّه واحد منّا من دون شكّ». وكان الجنديّان غاضبين وظلمة الليل تشتدّ، وهما مصمّمان على أخذ هذه المسامير. قال الجنديّان: «كفانا خرافات يا أندوخ! إنّ لديك زوجة واثني عشر ولدًا، عليك إطعامهم وسدّ جوعهم. عجّلْ وحدِّدْ لنا هذه المسامير حالاً، وندفع لك هذين الدرهمين. —كلاّ! أجاب أندوخ بصوت خافت. عندها ثار غضب الجنديّين فاستلاّ سيفيهما وقتلا أندوخ أمام نظر أولاده. ثمّ أنّهما خرجا مسرعين. وكان الوقتُ ليلاً ونجوم الليل تلمع في السماء. لم يبق إنسان على عتبة بيته. كلُّ الناس نيام خلف أبوابهم الموصدة. الجنديّان في عجلةٍ من أمرهما، وعليهما تنفيذ المهمّة، مهما كلّف الأمر وإلاّ فالعاقبة وخيمة. قصد الجنديّان بيت جوزافيه أحد الحدّادين المقيمين عند طرف المدينة في ساحة





الألعاب. أيقظوه عنوةً فقام متأفّفًا وهو المعروف بخموله وكسلِه، إذ كان إذا ما دخل جيبه بضعة دراهم أوقف عمله لينفق ما حصّل على ملذّاته الكثيرة، ثمّ بعد ذلك فقط يعود إلى سندانه ومطرقته. وكانت أمنية جوزافيه في تلك الليلة أن يتملّى من نومه ويشبع، ولكنّ صوت الجنديّين أزعجه فنهض من نومه متثائبًا يفرك جفنيه المثقلين بالنعاس. وللمرّة الثالثة أُفهمه الجنديّان ماذا يريدان: أربعة مسامير طويلة وغليظة. قال: بالله عليكما! هل تطلبان أن أُشعل الكور في هذه الساعة المبكرة لأصنع لكما أربعة مسامير.. هل فكّرتم بذلك؟ «غدًا أصنع لكما ما تريدان». - «كلاّ فنحن مستعجلان جدًّا»، أجاب الجنديّان. -«لا بأس: كم تدفعان لي؟». -«درهمين يا هذا». «أنتما تهزآن بي. شغل الليل أجره مضاعف. مقابل الدرهمين أصنع لكما ثلاثة مسامير صغيرة وحسب». — «مثل هذه المسامير لا تقوى على حمل جسد إنسان فوق الصليب. كفى نقاشًا أيّها الغريب». «هيّا واصنع لنا المسامير الأربعة المطلوبة وإلاّ حذار منّا على أذنيك». استشاط الجنديّان غضبًا وكان أحدهما قد أخرج نصلةَ سيفه من قربها، وأمّا جوزافيه ذو الطباع المرحة فكان يسترسل في المداعبة والنكتة ولم يكن ليفكّر بالتهديد والخطر على حياته. أردف الجنديّ الرومانيّ وهو يلاعب سيفه: -«نفّذ الأمر بسرعة وإلاّ ستلقى حتفك قبل يسوع بن مريم المعنيّ بهذه المسامير!». صُعق جوزافيه. توقّف فجأةً عن التثاؤب. فرك جفنيه وقال: «يسوع بن مريم؟!.. لكنّي أعرفه.. التقيته أكثر من مرّة في شوارع المدينة راكبًا جحشًا ابن أتان. إنّه هذا الانسان الطيّب المحبّ يتنقّل مبشّرًا الجماهير.. لا أفهم كلّ ما يقول، لكنّه يتكلّم عن زنابق الحقل، عن عصافير الكرمة، عن التينة. حديثه يروق لي.. هو ولا شكّ من الغرباء حتّى تكون له هذه المعرفة بالنباتات والحيوانات. وقف جوزافيه وقبضتاه على حقويه، من دون أن يبصر في الظلمة شفرة السيف الذي كان الجنديّ يقلّبه بعصبيّة بين يديه. قال الحدّاد: «اسمعا أيّها الجنديّان الرومانيّان! أنا لو صنعتُ لكما هذه المسامير لصلب هذا الرجل، لكنتُ كمن يشارك في جريمة عظمى لا تُغتفر. أرجو ألاّ تتّكلا عليّ!». استدار على نفسه وتظاهر بإغلاق الباب.. لكنّ ذلك جاء متأخّرًا.. لمعت نصلة السيف في الظلمة واخترقت صدره، فخرّ على الأرض ميتًا وعلى شفتيه بسمة بريئة وهو لا يدري ما يحصل له.

أمام باب الجمل في أورشليم يقوم دكّان صموئيل، الحدّاد الرابع في المدينة. -«إنّها فرصتنا الأخيرة!»- صرخ أحد الجنديّين صرخة أشبه بخوار ثور. واستولى على الجنديّين اليأس. إنْ هما عادا من دون المسامير فماذا ينتظرهما؟ ينبغي أن يعترفا أمام رئيسهما قائد المئة بفشل مهمّتهما ويُرجعا الدرهمين ويقرّا بأنّهما أنفقا الدرهمين الآخرين على المسكرات. وقتها يُحكم عليهما بالسجن لعدم تنفيذ الأوامر ويُحرمان من أجرهما. قال الأوّل: «اسمع! فلنتدبّر حيلةً ما. إنّما، إيّاك أن تلفظ اسم يسوع. جميع الغرباء والأعاجم هنا يحسبونه منهم، ولعلّهم على حقّ».

..«صدقت، قال الثاني، فلنتدبّر أمرنا بسرعة. لقد انتصف الليل ولم نُصبْ شيئًا». وخرجا مسرعين قاصدين حانوتًا آخر. على الطريق استوقفهما مشهد فتى جالس على مقعد خشبيّ أمام عتبة بيته، ينشد ألحانًا شجيّة على أوتار قيثارته فيطرب الليل والنجوم. لم تكن موسيقاه الناعمة لِتزعج أحدًا من الناس، بل تروح تنسابُ في السكينة كروح علويّة تسهر على الناس النيام. وكانت أزاهير الزنبق البنفسجيّة تبدو زرقاء في العتمة. كان هذا الفتى أحد أبناء صموئيل. اسمه كسبار، وله من العمر ثماني عشرة سنة. تعلّم حرفة الحدّادين على يد أبيه. والاثنان كانا يعملان معًا. أمّا أهل كسبار وأخواته وإخوته الصغار فكانوا مفترشين حصيرة من القشّ وغارقين في سبات عميق. وأمّا الصبيّ كسبار فكان شغوفًا بالموسيقى وبالليل، ولكنّه يكره العسكر الرومانيّ الذي كان يحتلّ أرض آبائه ويفرض على الناس نظامه وقوانينه.

ولم يكن كسبار لينظر بعين الرضى إلى قدوم عسكر قائد المئة. وكم كان يتمنّى ألاّ يحادثهم، وإن اضطرّ فبأقلّ الكلام.

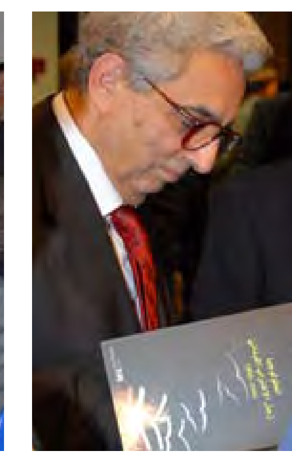
- أين أبوك؟ نهره أحدهما.

- إنّه نائم؟
- أيقظْه فورًا. وليصنعْ لنا بسرعة أربعة مسامير بطول السبابة وبعرض أصبع الإبهام.
- أنا أصنعها لكما بنفسي.
ترك كسبار قيثارته على المقعد. عَبَر الجنينة العابقة بطيب الزنبق وشذا الأزاهير. فتح باب الحانوت. أشعل الكور فتأجّج الجمر. لم يسأل لِمَ هذه المسامير، مَن سيستعملها ولا كم سيتقاضى لقاء عمله؟ لم يكن يشغله سوى همّ التخلّص بسرعة من هؤلاء العسكر. انتهى من صنع المسمار الأوّل. ألقى به في الماء ليبرد، ثمّ ناوله للجنديّين. وكذا كان شأنه مع المسمار الثاني والمسمار الثالث. إلاّ أنّه طيلة الفترة التي قضاها كسبار في تحديد المسامير، كان يترامى إلى سمعه همهمة أصوات خافتة، ولكنّ حديث الجنديّين وصوتهما العالي وضربات المطرقة على السندان كانت تحدث جلبة وضجّة كبيرتين. ولم يكن الحدّاد الفتى يصغي بانتباه إلى هذه الهمهمة الغريبة.
حين شرع كسبار بصنع المسمار الرابع، فجأةً تشنّجت ذراعه وتسمّرت عاليةً في الهواء. سمع أصواتًا ثلاثة لثلاثة رجال تصرخ وتنادي:
-«توقّفْ يا كسبار! إيّاك وتصنيع هذه المسامير. إنّها معدّة لصلب يسوع بن مريم، هذا الذي هو من خاصّتنا.. هل تسمعنا يا كسبار؟»
-«نعم!». ها إنّ الفتى الشاب يسمع جيّدًا وكذلك الجنديّان أيضًا... لقد تعرّف الجنديّان الرومانيّان على أصوات الحدّادين الثلاثة الذين قُتلوا على أيديهما.. دبّ بهما الذعرُ والخوف، فلاذا بالفرار هاربين واختفيا خلف البيوت.
في هذا الوقت كان كسبار قد أرخى ذراعه ورمى بالمسمار المتأجّج إلى خارج الحانوت، فلمع نوره في الليل كجمرة متوهّجة. كان قلبه يخفق في صدره خفقانًا سريعًا. وأوّل ما فكّر به أن يحاول اللحاق بالجنديّين لاسترجاع المسامير الثلاثة، ولكن أنّى له أن يعرف وجهة مسيرهما. وركض كسبار في الليل طويلاً عبر الشوارع الصامتة، ومضى حتّى وصل إلى قصر بيلاطوس، ولكنّه لم يرَ أحدًا من الناس. تاه في المدينة لمدّة ثلاث ساعات، ثمّ رجع إلى بيته منهوكًا. حزن جدًّا. بكى طويلاً قبل أن يستسلم للنوم مع ساعات الفجر الأولى. لم يكن كسبار ليتخيّل أنّ يسوع بن مريم سيُعلّق على الصليب في هذا اليوم بالذات. بيته كان بعيدًا جدًّا عن مكان السجن ليتمكّن من سماع صراخ الجماهير الحاقدة الزاحفة تهوّلُ في إثر المحكوم عليه.
.. وتناقل الناسُ خبر صلب يسوع بن مريم. صُعِقَ كسبار للخبر وأسرع نحو الجبل. وصل، ولكن متأخّرًا. كان الصالبون استعملوا مساميره الثلاثة: الأوّل في اليد اليمنى، والثاني في اليد اليسرى، ولمّا لم يبقَ لديهم سوى مسمار واحد للقدمين، اضُطرّ الجلاّد إلى تثبيت قدَمي يسوع الواحدة فوق الأخرى، وقام بدقّ المسمار وغرزه في القدمين. وكان هذا المسمار كافيًا لاختراق القدمين وتثبيتهما على الصليب.
عاد كسبار إلى المدينة. توقّف عن البكاء. لقد اتّخذ قراره. دخل إلى البيت وقال لوالديه: «عليّ أن أغادركما. أخي شمعون يأخذ مكاني في الحانوت. ينبغي عليّ أن أرحل وأطوف في الأرض من بلدٍ إلى بلدٍ أدعو الناس أن يكونوا أقلّ شرًّا وإجرامًا ويسلكوا طريق يسوع».
حاول صموئيل وامرأته أن يردعاه. تفهّما مقصده وارتضيا فراقه.
تأبّط كسبار قيثارته وخرج إلى البستان حيث اعتاد أن يمضي أوقاتًا سعيدة. ثمّ مرّ بباب الجمل. الصحراءُ تمتدُّ وسع الأفق بعيدةً أمام ناظريه. ولكن، أبعد من الصحراء، هناك أرض مأهولة.
ومنذ ذلك الزمان، ما يزال كسبار الغريب التائه يطوف العالم. كم مرّةٍ مرّ به الناس خيالاً هائمًا على تقاطع الطرقات البريّة، عند شواطئ بعض البحار، أو واقفًا على الرصيف ينتظر في إحدى محطّات القطارات. كسبار لم يهرمْ أو يشخ. ما زال فتى ابن ثماني عشْرةَ سنة. يتعرّفُ الناس عليه من شعره الأشعث وجلده النحاسيّ وثيابه الرثّة. وبعكس الغجر الغرباء الذين يعيشون جماعاتٍ جماعات في مضارب خِيَمهم عند ضواحي المدن، وحده هو كسبار يرحل ويتنقّل وحيدًا على قدميه.. إنّه ذلك الغريب التائه. لا يبيت مرّتين في مكان واحد، ولا يشرب مرّتين من نبع واحد. يمضي يُنشد أغاني وقصائد ترافقها إيقاعات وألحان على أوتار قيثارته: «.. لي في الريح بيت لست أذكره، وما أعرفه في كتب التاريخ مرصود..»، وأخرى: «لمَ أنت دومًا ترحل هكذا تائهًا نحو الأفق البعيد؟ لماذا ترضى بالجوع والعطش والبرد؟ ربّما يومًا تموت مثل كلب على قارعة الطريق..» ويجيب كسبار وهو يبتسم ابتسامة طفوليّة تلمع خلفها أسنانه البيضاء: «جئتُ أقول للذين ألتقيهم: إصنعوا مسامير تجمعون بها سواري المراكب والسفن وترفعون بها هياكل البيوت وتبنون قبابًا تطال الشموس، ولكن، اسمعوني جيّدًا: إيّاكم أبدًا أن تصنعوها لتسمير الناس فوق الصليب» .

أنطولوجيا زجل الاغتراب اللبنانيّ

١٩٠٠ - ٢٠٠٠

جوزف أبي ضاهر





أنطولوجيا زجل الاغتراب اللبنانيّ (١٩٠٠- ٢٠٠٠) للأستاذ الشاعر جوزف أبي ضاهر، عن مركز الانتشار اللبنانيّ في جامعة سيّدة اللويزة، «هو مختاراتٌ من أفضل ما نُشر في كتبٍ أو صحفٍ، وما وصلَ إلى الضوء، وما وفّره الكاتبُ أو ورثتُه»؛ و«إنّ ما نجهله من زجل الاغتراب هو أكثر بكثير ممّا وصل إلينا، أو عرفناه تواترًا ومرويّات، وفي أحسن الأحوال ما نُشر ولحقت به أخطاء الطباعة».

جوزف أبي ضاهر قدّم لنا ١٤٠ اسمًا، فقدّم لنا تاريخًا من مواجعَ وحنينٍ وجمال، بل معرضًا لعائلاتٍ وبلداتٍ ومَهاجرَ وحالاتٍ وأحوال.. فنرى لبنانَ الذي كان على مدى قرنٍ من الزمان!

ولمناسبة صدور الكتاب، دعت الجامعة إلى لقاء حوله في ٢٠١٠/١٢/١٩، طيّبَ المدخلَ إليه **الأستاذ سهيل مطر**، نائبُ الرئيس للثقافة والعلاقات العامّة، بكلمةٍ ثلاثيّةِ الشّميم: حول الهجرة وحول الزجل وحول الأنطولوجيا.



ثمّ تحدّث معالي **الأستاذ ميشال إدّه**، رئيس المؤسّسة المارونيّة للانتشار، فقال:

الزجل، كالأرز، كالجبل، في صلب مكوّنات جبلّتنا، وشخصيّتنا الجماعيّة. بين الزجل والجبل علاقة جدليّة متفاعلة للاجتماع اللبنانيّ، في سيرورة تكوّنه وتطوّره. وهذا بين الطبيعة والجغرافيا من جهة، والزمان والتاريخ من الجهة الملازمة الأخرى. إنّها العلاقة التي يرتقي الحضور الانسانيّ وعيًا وإبداعًا في سياق مشاركته في صنعها، فيما هي تصوغه بدورها كذلك. أمّا التعبير عن هذه العلاقة فمتنوّع بأشكال من الإبداع والغنى لا تحدّ. منها ، مثلاً، على سبيل الزجل، قولة الشاعر يوسف سمعان روحانا:

... وْمِنّا لَحالا كَرْجِتِ الأيّامْ   وْصارِ الحجرْ يحكي عَسكّانو

حساسيّة جديدة. إبداع جديد. شاعريّة جديدة تطلّ مع أواخر القرن التاسع عشر، متحرّرةً، ولاسيّما من لغة التعبير التي كانت سائدة، حَذْلقةً لفظيّةً وتقعّرًا لغويًا، موروثة عمّا اصطلح على تسميته بحقبة الانحطاط. لست أجد في مثال هذا البيت الشعريّ الزجليّ مجرّد ذاكرة لمّاعة في محفوظات الحنين. المسألة، في كنه هذا الزجل، أكثر وأبعد حتّى من اللغة ذاتها. فالزجل الذي بدأ في جبلنا بالسريانيّة، ثمّ أفصح عن ذاته بالعربيّة إنّما كرشونيّا، وبعدها بالعربيّة، كان سبّاقًا بحقيقته العاميّة وقبل الشعر الموزون المقفّى، إلى نفض غبار الانحطاط وقيود قوالب الاضطهاد عن الأوطان واللغة العربيّة ذاتها في آن.

جبرائيل القلاعي أرّخ الأحداث الهامّة التي عايشها بالزجل.






وغيره وغيره كذلك. كلّهم قوّالون، قالوا أوجاعهم وعذاباتهم والأحلام والحريّة بالزجل. وهذا، قبل انتشار المدرسة والتعلّم والكتاب والقلم. من مكوّنات اللبنانيّين المجتمعيّة هذا الزجل: توارثوه وتابعوه على امتداد أزمنتهم، حتّى لَبات أشبه بسليقة يُعرف بها اللبنانيّون الجبليّون بخاصّة.

الاشتياق/ اللوعة/ الحنين المشتقّة جميعها من معاناة الهجران والمهاجرة، فتّقت شاعريّة فريدة لدى المهاجر. وتعمّم هذا الأثر الشعريّ محافظةً على علاقة تواصل بالوطن الأمّ. غير أنّ زجل الاغتراب هذا ولّد، بدوره، لدى اللبنانيّين المقيمين، وعيًا مضافًا بوطنهم. أجل إنّ هذا الزجل مكّن المقيمين من إعادة اكتشاف شخصيّتهم اللبنانيّة، كينونتهم اللبنانيّة، التي كانوا، في غمرة شؤون حياتهم وشجونها قد سهوا عنها، أو فاتهم الانتباه الكامل إلى أهميّتها بفرادتها. فكما شكّل مال المهاجرين قيمة مضافة للاقتصاد اللبنانيّ، كذلك شكّل زجل الانتشار قيمة مضافة إلى وعي اللبنانيّين المقيمين بحقيقتهم اللبنانيّة، بواحد من أبرز مكوّنات هويّتهم الوطنيّة.

أحسب أنّ زجل الاغتراب كان من العناصر الهامّة التي أسهمت في تجديد الحساسيّة الإبداعيّة الشعريّة اللبنانيّة العربيّة الفصحى، التي عمّرت اللّبنات الأولى الأدبيّة الشعريّة الفكريّة التحرّريّة للنهضة. وهذا بمجرّد انتباهها إلى مفردات الذات قبل مفردات القواميس. التجديد الإبداعيّ المتميّز الذي اتّسم به أدب المهجر، وشكّل تحوّلاً نوعيًا في الإبداع الشعريّ العربيّ قاطبة، إنّما أسهم بتأسيسه زجّالونا أيضًا، في مهاجر الأميركيّتين بخاصّة.

وتابع: في كلّ حال، يكفينا التذكّر هنا، بأنّ أمين الريحاني المهاجر العائد، لم يجد غضاضةً البتّة في كتابة الشعر العاميّ بزجليّته «مرمر زماني» فيما يبدع الشعر الحرّ والفلسفة، حاله في ذلك حال جبران الذي لم يثنه إبداعه قصيدة «المواكب» عن تزجيل «موليّا».

أمّا أمير شعراء الفصحى أحمد شوقي فهو من أطلق على ابن بدادون، الشاعر الزجليّ اللبنانيّ الكبير أسعد الخوري فغالي، لقب: «شحرور الوادي»، اعترافًا بشاعريّة هذا الريادي الفذّ في شعرنا بالعاميّة.

هذان التجذّر والانفتاح اللذان ألمحت إليهما من قبل، هما ما طبع تاريخ رسوخ الموارنة وصلابة صمودهم، وإسهامهم الأساسيّ الأوّل في تكوّن هذا الوطن اللبنانيّ منفطرًا على التنوّع والتعدّد والانفتاح. ثمّ ما عتّموا أن ثابروا بأشدّ الظروف قساوة وبأغلى التضحيات، على حماية هذا التنوّع من طريق إسهامهم الأساسيّ الأوّل في صنع صيغته المجتمعيّة والمحافظة عليها قائمةً على العيش المشترك والحريّة والديمقراطيّة، أي على الحقّ في الاختلاف وقبول الآخر باختلافه. هذا التجذّر والانفتاح، هما الركيزة الأساس كذلك في حيويّة هذا الإبداع الزجليّ المتميّز وفي استمراره. فلا غَرْوَ، والحال هذه، أن تكون الغالبيّة الساحقة من شعراء الزجل اللبنانيّين من اللبنانيّين المسيحيّين، ومن الموارنة تحديدًا.

إنّه واقع يرتّب على عاتق اللبنانيّين، ولاسيّما الموارنة بخاصّة، أن يحافظوا على هذا الزجل، بصفته من أبرز مكوّنات تراثنا الوطنيّ، وشخصيّتنا اللبنانيّة بحضورها في الجغرافيا والتاريخ العربيّين والإقليميّين، وفي العالم.

جوزف أبي ضاهر، بمبادرته اليوم إلى هذه الأنطولوجيا، قد فتح شهيّتنا بما قدّمه من مختارات. لكنّه استثارنا إلى طلب المزيد...



الأستاذ عيد الشدراوي، الرئيس العالميّ للجامعة اللبنانيّة الثقافيّة في العالم، والذي اغتنم المناسبة للتنويه بدور الجامعة وإثارة هواجس الاغتراب، شكرَ للأستاذ أبي ضاهر وللجامعة جهودَهما في رفع النقاب عن نتاج شعراء زجل الاغتراب اللبنانيّ، لئلاّ تطمسه السنون، قائلاً:

هؤلاء الشعراء هم من دون منازع روّاد النهضة الفكريّة في لبنان والمشرق، تفتّقت قريحتهم شوقًا وحنينًا إلى أرض الوطن الأمّ لبنان، حيث مسقط الرأس ومرتع الصبا مع الأهل والخلاّن؛ بعدما كانوا هاجروا منه مرغمين منذ منتصف القرن التاسع



عشر، سعيًا وراء لقمة عيش كريمة، أو طلبًا لعلم، أو هربًا من جور السلطات وتنكيلها، إبّان سطوة الاستعمار العثمانيّ وما تلاه من انتداب أجنبيّ، حيث تعمّدت السلطات التضييق على الحريّات العامّة، وفرضت الضرائب الباهظة، إضافةً إلى تفشّي الأمراض القاتلة بسبب شحّ المواسم وقحط الغلال نتيجة هجوم الجراد على كامل أراضي جبل لبنان،.. ما أفقد الوطنَ أكثر من ثلث سكّانه...



الدكتور غالب غانم، رئيس مجلس القضاء الأعلى، وبعد أن نوّه بدور الأستاذ أبي ضاهر في إيقاظِ الذاكرة وكشفِ مخابئ التراث وحراسةِ كنوز الآباء والأجداد، وحيّاه أخًا بالكلمة والروح،.. أَقبلَ ينظر إلى المائدة الزجليّة التي دعانا إليها أبي ضاهر من زوايا:

الوجدِ والحنين، والدفق العاطفيّ، والنبض الكيانيّ، والعفويّة والوداعة، والكفاف والبركة، والليان والاخضلال، وخصوصًا الانكسار.

قال: أجل الانكسار! ولا ضير في ذلك. فإذا كانت الصفحات التي نجمعها من صنف الزجل، فذلك لا يعني بالضرورة أن تنزع منـزعًا تقليديًا كان يتحوّل، في غالب الأحيان، إلى مبارزات، ومساجلات، ومفاخرات، ومبالغات... الانكسار هو من طبائع النفس، ومن حقائق الحياة. الانكسار لينٌ وحنينٌ وأشواقٌ وحسراتٌ وأدمعٌ ورغباتٌ لم تتحقّق، وعودةٌ ظلّت في الوعدِ وانسلاخٍ عن التراب وعن الأحبّةِ وعن مسارحِ الطفولة وكلّ المطارح الأولى. الانكسار يأتلف كليًا مع مادّة الأنطولوجيا التي هي «زجل الاغتراب اللبنانيّ». فعندما كان ابنُ لبنان في ساحاتِ قراه وشوارع مدنه وأكماته الصخريّة ومساحب سهوله، كان بإمكانه أن يُطلق العنان لزجل النّزال والبطولة والعنفوان. أمّا يوم حمله البحر إلى الضفاف الأخرى وإلى الأقاصي... يوم حملت الهجرة الأولى أبناء «القرى الفقيرة، من الفلاّحين والرعيان الحطّابين» كما يقول المؤلّف في المقدّمة... إلى حيث يقودهم الماء والريح والحظّ... فما عاد ممكنًا ولا منطقيًا أن يسود مُناخ التعالي والتحدّي، وصار للانكسار الجميل مكانه الواسع في فردوس القصيدة.

وبعد أن قدّم أمثلةً من شتيتِ كلماتٍ دالّة، قال: ولقد أشجاني في هذا المقام، مقام العلائق الحميمة بين الانسان والأرض، والتواصل بين الغائب والحاضر... بين تراب الوطن وقلوب أبنائه المنتشرين في دنيوات المغامرة والطموح... أشجاني ما نشأ بين والدي «العندليب» عبدالله غانم، و«الشاعر الصيّاد» سليم لطف الله أمير الزجل في البرازيل...

وختم: إلى مثل هذا القلم، قلم جوزف أبي ضاهر، نحتاج في ضبابيّ اللغات وبابليّ الهوّيّات، وتنازع النفس بين الرحيل والبقاء، بين استمرار الغياب والمآب، بين دنيانا الوطن ووطننا الدنيا...

وأخيرًا، وبلغةِ الأمّ والجدّةِ والحبيبة، قَصّ **الأستاذ أبي ضاهر** الحكايةَ. وممّا قال بما قلّ ودلّ:

مشيو الـ سافروع أرض جديده، حاملين «كشّة» الهمّ والعذاب، وقوّة الـ بدّو يعيش تـ يطال الـ بكره، الموعود فيه بـ أمل يرجّعوع تراب أهلو، وترجع عتبة الباب تنسند ع كتافو.

وحدو الحنين كان رفيقنا لما بيتعب منن؛ وبـ الحنين في أنين الصوت، ودقّات القلب، والتنين مدروزنين ع أوزان الزجل.

صارو نص المكاتيب، إذا وصلو... وكان بعدن الـ ناطرينن، يكون الزجل فين هوّي اللهفه لـ: السهرات، العياد، جرس الكنيسه، ولفتة صبيّه بعدو منديلها ع مخدّة الـ كَتَب القصيدة، وعليه حرف من إسما، وحرف من إسمو...

هيك بلّش زجل الغربه، وكمّل، مع اللي غلبو التعب والقهر والوقت، وصارت الـ مطارح تندهن، وصار حضورن، فيه كتير من لون شمس لبنان.

اللي لحقون، ما كانو هربانين. الغول مات، وولادو ما عادو بـ قوّتو، وكان صار السفر مزوزق بالأحلام، بـ الثروة، بـ العلم، بـ النجاح... وكلّن تحقّقو... وصار في لبنان تاني خلف البحر، ومن أوّل نقطه بـ حدود الأرض لآخر نقطه.

زجل كتير انكتب بين المرحلتين. قسم ضاع، وقسم ما انعرف، وقسم انكتب وما وصل لـ صحابو، وقسم قليل تزيّنت فيه مجلاّت، والأقلّ انجمع بـ الكتب.

هـ الزجل ما كان كلّو جايي من خلف البحر. في زجل راح لـ البحر، وبالتنين العاطفه موجوده، والصور بتتشابه، ومرّات كأنّها منقولي عن بعضها البعض.

استعمر قلبي

نور زاهي الحسنيّة

استعمر قلبي، تملّكني، جرى حبّه في عروقي، فأيقظني من غفوة الفراغ، وأضحيت الطفلة المتيّمة به، هو الذي تلاحقه الأعْيُن، وتتسابق الفراشات كمدمنات لاستنشاق عطره؛ إنّه الوردة، ولكن في مستنقع مقيت كاد يلتهم كلّاً ما حوله من جمال، ويزجّه في قاعه السوداء.

حبيبي هذا، ليس بشرًا ولا ملاكًا، ولا يُحدّد بزمان أو مكان؛ هو توأم روحي في صلب كياني، في حبّة فؤادي، منذ الأزل وإلى الأبد.
ولكن، لا أعرف لماذا تغزو مخيّلتي أحيانًا فكرة أن يهجرني يومًا، أن أفقده من غير سبب؟! عندها، ما عساها تكون حياتي؟ كيف سأعيش من دون هواه، ومن دون أن يعانقني وأسمع دقّات قلبه في دقّات قلبي؟!

أمّا مآقيّ فقد سيّجَتها غشاوةٌ، فأنا لا أرى حبيبي إلاّ كامل الأوصاف. يقولون لي: «ألا تَرَيْن ما يفعل هنا أو ماذا ارتكب هناك؟ لم يعد ذلك الشاب الشامخ، بل أصبح عجوزًا هرمًا رسم الزمن توقيعه على صفحات وجهه».
أتلعثم، أرتبك، من غير أن أجيب. بكلّ بساطة، لم أرَ أو لا أريد أن أرى!
لا أريد أن أرى فيكَ، يا لبناني، ما يجهد الكثيرون لأن يصوّروك عليه؛ ليس الذنب ذنبك في كلّ ما يحصل على أرضك! أنتَ رسالة إلى العالم: رسالة لم يقرأوها يومًا، بل أرادوا تشويه محتواها بكلّ الطرق؛ لم يدركوا بعد أنّ كلماتها منقوشة في قلوبنا نحن، قلوبنا التي أصبحت متاريس تدافع عنك ولا تَهاب المخالب الممتدّة من كلّ حدب وصوب، فمخالبهم واهية، وأمّا قلوبُنا فخيّالةٌ مُدجّجةٌ بالعنفوان.

فيا وطني، يا من أفديكَ بدمي، حبّي لكَ لن ينضب ويفنى حتّى بعد نضوبي وفنائي؛ فأنتَ أنا، وبعظمتك أعيش.



Nour Al-Hassanieh
Sophomore
FNHS (Medical Laboratory Technology)
Shouf Campus





د. جميل الدويهي

استنكرت منظّمات دوليّة اعتقال السلطات السودانيّة لستّين امرأة من النساء اللواتي خرجن في مظاهرة سلميّة احتجاجاً على جَلدِ إحدى الفتيات. ويَستخدم النظام السودانيُّ (وغيره من الأنظمة الدينيّة) عقوبة الجلد والرجم بالحجارة ضدّ نساء يرقصن أو يرتدين سراويل. ويُقدّر أنّ ثلاثة وأربعين ألف امرأة اعتقلن في السودان بسبب اللباس. وكانت الصحفيّة لبنى أحمد حسين التي لاحقتها السلطات بسبب ارتدائها سروالاً قد غادرت السودان متخفِّية، وأعلنت أنّ مليون جَلدة لن ترغمها على تغيير طريقة لباسها. هذه القصيدة مهداة إلى لبنى أحمد حسين:

يتحدّثون عن النّساء

يتحدّثون عن النّساءْ،
فوجودُهنّ فضيحةٌ،
ورقابُهـنّ على حِذاءْ...
أُولى الوصايا عندنا:
«لا ترحَموا امرأةً»،
فنحن قبيلةٌ لا تشتهي
غيرَ الدّماءْ.

يتحدّثون عن التخلّفِ، والغباءْ
وقبيلتي من عهدِ تيمورلنكَ
تمتهنُ الرّياءْ...
والناسُ فيها متعبونَ من البكاءْ
ومضلّلونَ كما طواحينُ الهواء
ومنافقونَ
لأنّهم لا يعبدون سوى إلهٍ واحدٍ
في الأرضِ
من طينٍ وماءْ...

يتحدّثونَ، ونحن لا نصغي
ففي يدِنا الحجارةُ،
والعواصفُ، والشتاءْ
ونساؤنا عند الرصيفِ،
مقيّداتٌ بالسّلاسلِ كالإماءْ...
ومطارداتٌ في الشوارعِ كالظِّباءْ...
وطقوسُنا موبوءةٌ،
وكلامُنا مثلُ الوباءْ...
نحن الفحولُ الهائجونَ،
من الصّباحِ إلى المساءْ...
وذنوبُنا مغفورةٌ،
وعلى ذنوبِ الناس نحنُ الأوصياءْ...
فجميعُ ما أمرتْ به كتبُ السّماء:
«لا تذبحوا إلاّ الحريمَ،
وعلِّقوا أثداءَهنّ على شريطِ الكهرباء!»

من أينَ يأتينا الضياءْ،
ورجالُنا متأبّطون لكلِّ شرٍّ، واعتداءْ؟
يا أمّةً لا تستحقّ سوى الرثاءْ!
يا أمّةً من عصر ياجوجٍ وماجوجٍ
تسيرُ إلى الوراءْ!
والحاكمون بكلِّ سيفٍ يضربونَ،
ونحن كالأغنامِ نُشوى، للغداءْ...
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ،
وعندنا امرأةٌ تحبُّ كما تشاءْ...
لا يسلم الشرف الرفيعُ إذا تكلّمنا،
وسلّمنا سلامَ الكبرياءْ...
فاكتبْ هنا يا أيُّها التاريخُ:
إنّ العدلَ ماتَ من المحيطِ إلى الخليجِ،
ومات كلُّ الأنبياءْ.

لا تقُلْ إنَّه كتابٌ أخيرٌ

د. جميل الدويهي



لا تقُل: إنَّه كتـــــابٌ أخـيـــرُ   قــد كبِرتُ، وخانني التعبيـــرُ
شاعرٌ أنتَ، مُبْدِعٌ مــن بـــــلادي   في يديكَ مجـــامِرٌ، وحريـــرُ
يَصرُخ الشوقُ من هنا، والقـوافـي   يشتهي منها أخطـــلٌ، وجريـــرُ
ابنُ سبعينَ أو ثمانـــينَ، لكــــنْ   أنتَ ما زلتَ في الفضاءِ تطيـرُ
هـل رأيتَ النسورَ تطوِي جَنـاحًــا   أو يلوذُ بصمتِه العصفـــــورُ؟
كيف يبقى لـنـا كلامٌ جميــــلٌ   والإذاعـــاتُ ناكِرٌ، ونكــــيرُ؟
والأحاديثُ ضجَّةٌ مــن هنـــاكَ   ووعيدٌ مـــنْ هنا، وشـــُرورُ؟
عندمــا الشعرُ ينتهي، ينتهي الحبُّ الذي عِنـدَنا، ويَعْـرُجُ التفكيــــرُ.

* * *

صرخةُ الحقِّ مَـن لها كلَّ يـــومٍ   إنْ يَراعٌ هَـوى، وماتَ الشعــورُ؟
مَـن إذا معتدٍ أغـارَ علينــــــا   يحْمِلُ السيفَ شاهِـقًا، ويَسيرُ؟
مَـــن إذا أغلقَ الظلامُ دروبًـــا   تُشرِقُ الشمسُ عندَه، والضميرُ؟
شاعرٌ مــرَّ في الزمانِ فقيـــرًا   والشعـوبُ كنوزَه تستعيـــرُ...
كالمسيحِ يمــوتُ حُبًّا، ويحيـــا   ومليكًا على الملوكِ يصـــيرُ...

* * *

مُستبدُّونَ يَحمِلـــــون علينـــا   فالهواءُ مُصــــادَرٌ، والعبيـــرُ
والصلاةُ، على النِّظامِ انقِـلابٌ...   وحديثُ الغَرامِ جُـــرمٌ خطيـــرُ
هـم يريدونَ أن تعيشَ كـــسولاً،   فالكرومُ التي زرعْـتَ تبـــورُ...
ويُـريـدونَ أن تكـــونَ جبـانـــًا   يَحرُسُ الليلَ رُمحُــكَ المكسورُ
كم نبيًّـــا تـوعَّـــدوهُ بثـــأرٍ؟   فالنبيُّ له عــــذابٌ كبيـــرُ!
شرّعوا أرْضنا لكلِّ اغتِصــــابٍ   فعلى الأرضِ عسكَرٌ، ونَـفـيـرُ...
حـينَ قلتَ لهم: أحبُّ بـــــلادي   حاصَروا البيتَ،واستبدَّ الفُجورُ...
هــم تُرابٌ، فهل رأيتَ ترابــــًا   عـنـدَه الفِكرُ، والكلامُ الجَسـورُ؟
يُبدِعـــونَ نُعاسَهم في الليـالـــي   ولياليكَ أغنيـــاتٌ، وحُــــورُ
ويزُورونَ معبَدًا مـــن رُخـــامٍ   والإلـــهُ الذي يُحبُّـــونَ زُورُ
ويعيشونَ في القصـورِ، ولكـــنْ   أنت أغنى، فمِنكَ نــارٌ، ونـــورُ
ولَك المجدُ صـارِخًا في كتــابٍ...   وتضيقُ على الطُّغــاةِ القُبـورُ...

* * *

يا صديقي الذي أحبُّ كثيـــرًا،   وافترقنا، وأبعدَتنا بحـــــورُ
أنتَ في القلبِ نغمةٌ، وصـــــلاةٌ   كيفَ تمحوكَ من فؤادي العصورُ؟
عُد إلينا غـدًا بكلِّ جديــــــدٍ...   كي تَعودَ الرؤى، وتعلو قصورُ...
لا تخُـنْ عَهدَنا، وأنتَ وفــــيٌّ،   كي تظلَّ على الكِتابِ سُطـــورُ
شاعرٌ لـو يُقالُ: ألقى ســلاحـــًا   يغْضَبُ الله، والسماءُ تثــُورُ...

في إصدار ديوان «حصاد الموسم الأخير» للشاعر عبد الله أبي عبد الله.





د. منيف موسى

في ديوان «ألحان الكروم»

للدكتور منصور عيد

كرْمُك الحاني على اللّحنِ ابتسامْ
في رُبى «جزّين» عَرْشٌ للغـــرامْ

شـدْتَهُ ديـــوانَ شعـــرٍ لائـــقٍ
زَيْنُهُ الغُصنُ وأجراسُ الغَمَـــامْ

غرّدَ الحَســـّونُ في أفنـــانِــه
واستراحَ الظِلُّ في فَيْءِ الخَـزامْ

في جلالـــي الدّوْحِ نَسْمٌ طيّـــبٌ
ينفحُ الجوّ من العِطرِ الكـــلامْ

في رَوابـــي البيـتِ رُكنٌ شــاهقٌ
بلّغَ المنصـــورُ مــنه للأنـــامْ

أنّ شيطانًا من الشعـرِ استـــوى
فوق كِلْمي. فتعاطينــا المـُدامْ

قال بيتًا، قلتُ بيتـًا، فاحتبَـتْ
مُفرداتٌ عندنا مثـلَ الحمـــامْ

توّجَ المنصـــورُ كُتْبــًا عنــدهُ
فالتقى النثْرُ مع الشـعرِ عَــلامْ

«رابعة» صلّـت علـى أزهـــارِهِ
وارْتجى «الحلاّجُ» من لبنانَ جامْ

هاكَهُ الكرمُ الخصيبُ المُجْتَبـى
ضَمّه لحْنٌ إلـى لحـْنٍ، فَهـَامْ





is now available on NDU website, under **www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit**

سلسلة الشأن العام	General Public Internet Series
سلسلة الأبحاث المجتمعيّة	Societal Research Series
سلسلة دراسات الإنتشار اللبناني	Lebanese Emigration Research Series
سلسلة الأبحاث المائيّة و البيئيّة	Water, Energy & Environment Research Series
سلسلة الدراسات الماليّة و الاقتصادية	Financial & Economic Studies Series
سلسلة الدراسات التاريخية	Historical Studies Series
سلسلة أنوار الأديان	Religious Illuminations Series
سلسلة آفاق ثقافية	Cultural Horizons Series
سلسلة الانسانيات	Humanities Series
سلسلة المخطوطات اللبنانية	Lebanese Manuscripts Series
سلسلة الموركس	Christian Education Series
سلسلة التنشئة المسيحية	Compendium Of The Virgin Mary in Lebanon
موسوعة العذراء مريم في لبنان	University Texbook Series
سلسلة المقررات الجامعية	

